بين الشيعة وأهل السنة

تأليف: الدكتور سليمان دنيا

إعداد وتقديم: سيد هادي خسروشاهي

بسم الله الرحمن الرحيم

بين الشيعة
و
أهل السُنة

الدكتور سليمان دنيا
مدرس الفلسفة وعلم العقيدة بكلية أصول الدين وعضو الجمعية الفلسفية
المصرية وعضو بعثة الجامعة الأزهرية إلى انجلترا

اعداد ، تقديم وتعليق
سيد هادي خسروشاهي

سرشناسه :دنیا، سلیمان، ۱۹۵۱ – ۱۹۹۵م.
عنوان و نام پدیدآور : بین الشیعة وأهل السنة/ سلیمان دنیا؛ اعداد، تقدیم و تعلیق هادی خسروشاهی.
مشخصات نشر : قم: المجمع العالمي للتقریب بین المذاهب الاسلامیة، المعاونیة الثقافیة ،
۱۴۲۹ق. = ۲۰۰۸م. = ۱۳۸۷.
مشخصات ظاهری : ۸۰ ص .
شابک : ۷۰۰۰ریال : 978-964-167-024-7
وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا.
یادداشت : عربی.
یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع : وحدت اسلامی.
موضوع : تقریب مذاهب.
شناسه افزوده :خسروشاهی، هادی، ۱۳۱۷ - ، گردآورنده
شناسه افزوده :مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی، معاونت فرهنگی
رده‌بندی کنگره : ۱۳۸۷ ۹ ب ۸۵ د ۵/ ۲۳۳ BP
رده‌بندی دیویی :۲۹۷/۴۸۲.
شماره کتابشناسی ملی :۱۲۱۷۷۹۸.

اسم الكتاب: بين الشيعة وأهل السنة
المؤلف: الدكتور سليمان دنيا
اعداد، تقديم وتعليق: سيد هادي خسروشاهي
الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية – المعاونية الثقافية
الطبعة: الأولى – ١٤٢٩ هـ.ق ٢٠٠٨ م
الكمية: ٢٠٠٠
السعر: ٧٠٠٠ ريال
شابك: ISBN ٩٧٨ – ٩٦٤ – ١٦٧ – ٠٢٤ – ٧
العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران / طهران
ص.ب: ١٥٨٧٥ – ٦٩٩٥
تلفكس: ٨٨٣٢١٤١٢ – ٢١ – ٠٠٩٨

المقدمة

سيد هادي خسروشاهي

وزارة الأوقاف

إدارة الثقافة

بين
الشيعة وأهل السنة

للدكتور سليمان دنيا

مدرس الفلسفة وعلم العقيدة بكلية أصول الدين
وعضو الجمعية الفلسفية المصرية
وعضو بعثة الجامعة الأزهرية إلى انجلترا

(مطبعة وزارة الأوقاف)

المقدمة

اهدتني هذه الرسالة التقريبية، السيدة الفاضلة، الاخت الكريمة زينب الغزالي، في زيارتي لها، وفي مكتبتها الخاصة، في القاهرة وذلك قبل سنة من رحيلها، حين دار الحديث حول حركة التقريب، حيث اكدت لي بانها كانت منذ زمن بعيد، مؤيدة لفكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية وخاصة ان المرشد العام للاخوان المسلمين، الشهيد الشيخ حسن البنا، كان من مؤسسي هذه الحركة، بمساعدة وتعاون العلماء الكبار، من السنة والشيعة.

.. وقد شكرت على الاخت الفاضلة لاهدائها لي هذه الرسالة التقريبية ، الصادرة في القاهرة، منذ أكثر من نصف قرن ولم اكن على علم بها ولم اقف على نسخة منها، قبل ان تهديها لي..

والرسالة من آثار الاستاذ الدكتور سليمان دنيا من كبار العلماء الازهريين مدرس الفلسفة وعلم الكلام والعقيدة بكلية اصول الدين وعضو الجمعية الفلسفية المصرية وعضو بعثة الجامعة الازهرية في اروبا... وله آثار وتأليفات قيمة في شتى المجالات وخاصة في مجال الفلسفة والكلام منها: الحقيقة في نظر الغزالي، المعرفة، ميزان العمل،[1] تهافت الفلاسفة للغزالي –

---

(١) والكتاب دراسة حول السير الفكري للغزالي، حيث دخل عالم الايمان واليقين بعد الشك والترديد! وطبع الكتاب في سنة ١٩٦٥م ضمن مجموعة «ذخائر العرب» – دار المعارف – القاهرة.. وترجمة إلى اللغة الفارسية الصديق المرحوم علي اكبر كسمائي وطبع في طهران، سنة ١٩٩٧ – مؤسسة سروش.

تحقيق – وتهافت التهافت – لابن رشد – تحقيق – و: محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين – تحقيق – وهذه الرسالة: «بين السنة وأهل الشيعة»...

وقد قام الشيخ محمد تقي القمي، الامين العام لجماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية – القاهرة، بتقديم لهذه الرسالة واعلن فيها بان الرجل كان على صلة بدار التقريب، منذ سنين وهو من اهل الفضل والعلم.. وقد «اكبّ هذا العالم المدقق على الدراسة والبحث في كتب المذاهب الإسلامية واقتنع بسلامة الفكرة التي ندعو اليها ولمس حاجة المسلمين إلى الاخذ بها، حتى كتب بحثا بيّن به للناس الوفاق والخلاف واعتمد فيه على المنطق السليم..».

ونحن اذ نقوم بنشر هذه الرسالة القيمة، مع بعض التعليقات الموضحة للمواضيع المطروحة فيها، ونقدمها إلى جميع الاخوة، في كل مكان، نرحب بكل فكرة ورسالة تصلنا من العلماء الافاضل لكل المذاهب الإسلامية، ومن شتى اقطار العالم العربي والاسلامي، حول الموضوع ذاته، حتى نقوم بالواجب وننشرها، لتعم الفائدة ونكون على صلة فكرية دائمة... وكما اشرنا، ان الاستاذ الدكتور سليمان دنيا قد قام بتحقيق وتعليق ودراسة بعض الكتب العقائدية والفلسفية والكلامية، لعلماء كبار قدامى او معاصرين، حيث كان يؤمن بان توضيح العقائد لاصحاب المذاهب الإسلامية، خطوة مباركة في سبيل التقريب، لان أصحاب المذاهب، لو درسوا عقائد الآخرين، ومن المصادر الاصلية والمعتبرة عند علماء المذاهب الإسلامية، سيرفع كثيرا من الشبهات وستنجلي الحقائق وحقيقة العقائد.. وهذه هي الخطوة الهامة في سبيل التقريب (كما صرح بهذا في هذه الرسالة).

وفي هذا الإطار ، قد قام الاستاذ الدكتور سليمان دنيا بتحقيق شرح العقائد العضدية للعلامة جلال الدين الدواني، ونشر «التعليقات» وطبع الكتاب تحت عنوان : «محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين» واعتبر ان «التعليقات»، هي من آثار وتأليفات الاستاذ الشيخ محمد عبده، مفتي الديار المصرية الاسبق..

ولكننا نرى ان الكتاب ليس من تأليفات الشيخ محمد عبده، بل هي ناتج عن فكر استاذه في الفلسفة والكلام، السيد جمال الدين الحسيني – المعروف بالافغاني – حيث كان يلقيها ضمن دروسه اليومية في العقائد والكلام، في زاوية من جامع الازهر الشريف، وقد قام الشيخ محمد عبده، وهو من ابرز تلاميذه المعروفين – بتقريره وتنسيقه، كما كان ذلك دأبه بالنسبة لآثار استاذه الأخرى... وقد بدء الأمر في القاهرة واستمر في هذا المجال، حتى في باريس، حيث كان يقوم به تحرير وصياغة أفكار السيد جمال الدين الحسيني وينشرها في مجلة «العروة الوثقى» كما صرح بذلك.

وقد يدلنا على هذا الاستنتاج، ما يحتويه هذا الكتاب العقائدي الضخم ونرى ان تاريخ التحرير حسبما جاء في الكتاب، هو سنة ١٢٩٢هـ-ق، أي عندما كان السيد يقيم في مصر ويدرس الفلسفة، وكلنا يعرف ان اشيخ محمد عبده في ذلك التاريخ بالذات، كان لايزال طالبا شابا في الازهر ومن تلامذة السيد الممتازين. ولايعقل ان يقوم طالب في سن العشرين من عمره، بتأليف كتاب ضخم ومعتمد في علم الكلام، على هذا المستوى العلمي الرفيع.

ويذكر محمد عبده نفسه – كما ورد في المجلد الأول من «تاريخ الاستاذ الامام» – بأنه: «تعلم الاشارات وحكمة العين وحكمة الاشراق وعقائد جلال الدين الدواني عند السيد...» وهكذا، فانه يصرح بان علاقته

بهذا الكتاب ستكون في مستوى تلميذ يتعلم عند السيد ولايبدو من المعقول ان تكون هذه التعليقات العميقة والهامة، من التلميذ نفسه.

واللافت للنظر، انه في بعض الصفحات من الكتاب هوامش على نص «التعليقات» وبتوقيع: «محمد عبده» وهذا من المستبعد ان يقوم المؤلف نفسه مرة أخرى – وبتوقيعه الخاص – بكتابة هوامش على تعليقاته!.

والاهم من كل ذلك، انه يقول في التعليق رقم ٤٨ لدى البحث حول «الالهام الالهي»: «هذه القضية تحتاج إلى تفصيل ونحن تناولناه في رسالتنا حول مسألة الواردات...» [1] وكلنا نعلم ان رسالة الواردات هي من السيد جمال الدين الحسيني، وقد قام الشيخ محمد عبده بصياغتها، كما صرح بذلك في مقدمتها.

ومما يدعو إلى مزيد من اليقين، هو استخدام الكلمات والتعابير: التركية والفارسية والهندية والفرنسية والانجليزية في صفحات عديدة من الكتاب، ونحن نعلم بأن الشيخ محمد عبده الشاب، لم يكن يعرف في تاريخ تأليف الكتاب – ١٢٩٢هـ – أيا من هذه اللغات، بل ان استاذه جمال الدين الحسيني، هو الذي كان يعرف هذه اللغات.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، جاء في الكتاب: «الوجود، المعبر عنه في الفارسية بـ هستي! والعالِم ما يعبر عنه في الفارسية بـ دانسا والله في الفرانسوية ديو، وايزد ويزدان في الفارسية وخود آينده معناها الوجود بذاته. «خود» بالفارسية: النفس وآينده اسم فاعل من آمدن، يعني المجيء...».

...والظاهر ان الشيخ محمد عبده(ره)، لم يكن على علم بأن الكتاب

---

(١) الواردات في سر التجليات، رسالة فلسفية معمقة. وقد نشرناها في مجموعة الآثار الكاملة للسيد..

سيصدر باسمه فحسب؛ لأن الطبعة الأولى للكتاب صدرت في عام ١٣٢٣هـ أي بعد وفاته، ولو كانت صدرت إبان حياته؛ فانه ـ وكما هي عادته ـ كان يقوم بواجبه تجاه السيد ولم يكن يسمح بنشر الكتاب بدون اسم أستاذه.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن تعليقات السيد على «شرح العقائد العضدية» توقفت في الرقم ٢٢٢، وإذا انتبهنا إلى القضايا المطروحة بعد هذا العدد، نجد أنها تتعلق بالقضايا الفلسفية العميقة والأبحاث الاعتقادية المتنوعة والمختلفة، كالمعاد الروحاني وقضية الصراط والميزان والخلود في الجنة أو النار، ثم قضية العصمة والامامة بعد النبي(ص)... يتضح جليا لماذا اختتم البحث؟! اي بعد طرح قضية المعاد الجسماني، ينهي السيد فجأة تعليقاته بهذه الكلمات:

«.. إلى هنا انتهى بنا سير الفكر، فوقف القلم، والحمد لله، حيث بالخير تم.. وكان ذلك في اواخر ذي الحجة الحرام، سنة اثنتين وتسعين ومائتين والف من الهجرة المحمدية، صلى الله وسلم على مفتتح تاريخها وعلى آله واصحابه».

في الحقيقة، ينبغي القول: ان أستاذ الشيخ – نعني السيد جمال الدين – توقف عن الاستمرار في البحث تجنبا من الخوض في قضايا خلافية، وبالاخص قضية الخلافة والامامة، وقد نئى عن الدخول في امور خلافية رغبة في عدم التطرق في مسائل لا فائدة في نشرها وهو من أصحاب الدعوة إلى الوحدة والتقريب.[1]

وعلى اية حال: فالتعليقات كلها من السيد جمال الدين الحسيني

---

(١) هذا ما أشرت اليه في مقدمة كتاب: «التعليقات على شرح العقائد العضدية» والذي طبع في القاهرة ضمن مجموعة «الآثار الكاملة للسيد جمال الدين الحسيني» بتاريخ رمضان المبارك ١٤٢٢هـ - .

والتقرير والصياغة من الشيخ محمد عبده، - تلميذه إبان تأليف الكتاب - .. وقد ناقش الموضوع الاخ الاستاذ الدكتور محمد عماره وقام بدراسة معمقة في اثبات ان اصل التعليقات هي من آثار السيد ومن تقرير الشيخ.. (وقد نشرنا ما كتبه الاستاذ عماره في مقدمة التعليقات الصادرة من مكتبة الشروق الدولية – القاهرة – ١٤٢٤هـ) وكذلك صديقي العزيز، الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم الفيومي قد نشر دراسة مفصلة حول الموضوع واثبات نظراتنا، في مجلة «الفلسفة والعصر»، الفصلية، العدد الثالث... سنة ٢٠٠٥م الصادرة من المجلس الاعلى للثقافة – القاهرة ونحن لانريد الخوض في التفاصيل، في هذه المقدمة ومن يريد التفصيل فله الرجوع إلى المصادر المذكورة..

× × ×

... وبعد هذه المقدمة المختصرة، والاشارة إلى بعض آثار الاستاذ الدكتور سليمان دنيا، نقدم لكم بحثه القيم ورسالته المفيدة حول الشيعة والسنة وطرق التقريب وضرورة التعارف واهمية الاهتمام بالوحدة الإسلامية في العالم المعاصر والذي يسيطر على ثرواته واعلامه اعداء المسلمين، من الصليبيين الحاقدين والصهاينة المجرمين وأذنابهم المرتزقة، داخل البلاد الإسلامية والعربية.

والله من وراء القصد.

سيد هادي خسروشاهي

رئيس مركز البحوث الإسلامية

قم: إيران ربيع الأول ١٤٢٩هـ

تقديم :

محمد تقي القمي

السكرتير العام لجماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

كل فكرة سليمة، تقوى وتتدعم، كلما ازداد البحث حولها، والتعمق في دراستها، لأن البحث والدراسة والتمحيص، تجلو جوانبها، وتبرز صلاحيتها.

وفكرة التقريب، هي في مقدمة مثل هذه الأفكار، وهي وان كانت في بداية أمرها لم تملك أسباب الظهور بقوة، إلا أن اعتمادها على انها جاءت لوجه الله، وأنها حق، وإنها سليمة، وان المخلصين لابد ان يخدموها، بألسنتهم، وأقلامهم، كل ذلك أعطاها مظهر القوة، فمشت بخطوات ثابتة رتيبة في سبيل إيجاد التقارب بين إخوة في الله، كتابهم واحد، وكل كتاب بعده باطل يجب أن يقاوم، ونبيّهم واحد، ولا نبوة بعده، وقبلتهم واحدة، وصلواتهم واحدة، وحجهم واحد، الا انهم اختلفوا في شأن الولاية والخلافة، وكان يمكن ان يبقى هذا الخلاف في دائرته المعقولة، لولا أن أهواء الحكام عملت عملها، والأقلام المغرضة بثت سمومها، فشوّهت الحقائق، وأشاعت الشكوك والريب، فتقطعت وشائج الأخوة بين أبناء هذه الأمة، وغدوا فرقا متنافرة، يتبادلون التهم، ويسيء بعضهم الظن بالبعض. ثم تمت القطيعة بينهم على الأيام، فجهل كل فريق بما عند الآخر جهلا مطبقاً، جعل الشيعة يخلطون بين أهل السنة والنواصب، وجعل أهل السنة يخلطون بين الشيعة والغلاة.

والقطيعة بين المسلمين أوجدت حجبا كثيفة، لابد لرفعها من دعوة مركزة تنظم الجهود، ودعاة مخلصين يبذلون غاية الجهد، لتعريف كل طائفة

بما عند غيرها، وابراز النقط الوفاقية بين المذاهب، وابداء وجهات النظر في النقط الخلافية ان احتاج الأمر إلى ذلك. فدعوة التقريب اذن لا تنكر الخلاف، ولا تطلب تنازل كل فريق عما عنده، ولا تدعو إلى دمج المذاهب الفقهية، وانما تبغي ان يتم التعريف بالطوائف على وجهه الصحيح.

من أجل هذا يهم التقريب الباحثين، وان تفاوت اهتمامهم به، فمنهم من يبحث ليعرف الحقيقة، ويكتفي باقتناعه هو، ومنهم من إذا اقتنع أحس ان عليه رسالة واجبة الأداء، ومؤلف البحث الذي بين أيديكم من هذا القبيل. فمنذ سنين اتصل بدار التقريب، رجل من أهل الفضل والعلم، هو فضيلة الدكتور سليمان دنيا، الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف، مؤلف «الحقيقة في نظر الغزالي» و«المعرفة»، وغيرهما من المؤلفات القيّمة، التي تدل على سعة العلم، وعمق التفكير.

اكب هذا العالم المدقق على الدراسة والبحث في كتب المذاهب الإسلامية، واقتنع بسلامة الفكرة التي ندعو إليها، ولمس حاجة المسلمين إلى الأخذ بها، فلم يهدأ له بال، حتى كتب بحثا بيّن به للناس الوفاق والخلاف، واعتمد فيه على المنطق السليم، وتجرّد فيه من الأهواء والغايات، وسار به إلى نتائج أدى إليها تفكيره السليم. ولعل هذا يكون مقدمة لبحوث أخرى يدبجها يراعه في المستقبل ان شاء الله.

وإذا كانت الأقلام بالأمس هي التي ضخمت مشكلتنا، فكانت معاول هدم في بنائنا، فإنها اليوم بحمد الله أصبحت من عوامل البناء، حيث نقلها الله بلطفه، إلى أيدي رجال فضلاء، يغارون على إسلامهم، ويعملون لوحدة أمتهم، ويجاهدون بأقلامهم أعظم الجهاد وأوفاه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي المؤلف الفاضل خير الجزاء، وان يكتب لنا جميعاً التوفيق والسداد...

محمد تقي القمي

القاهرة

المقدمة

د. سليمان دنيا

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله. وبعد:

فلقد يؤلم المرء ما قد يراه من تقاطع وتدابر بين الشيعة وأهل السنة، وهما يكونان السواد الأعظم من المسلمين في الوقت الحاضر.

ولقد يظن المرء أن ما بينهما من خلاف... يصعب على الحل، ولا يمكن معه أن تأتلف القلوب، وتتلاقى النزعات، وتتوحد الأغراض ولكن الباحث المنصف الذي يتحلل من الجمود والعصبية، ويتخلص من عوامل الهوى والرجعية، يجد الأمر أهون مما يظن، وأيسر مما يتصور.

لهذا... استخرت الله، في أن أتقدم بهذا البحث ـ تحدوني الرغبة في أن يضع السني يده في يد الشيعي، والشيعي يده في يد السني، لتتكون منهما جميعا كتلة واحدة، متآخية متساندة، تقاوم عوامل الضغط الأجنبي الذي يدأب على أن يخلق منهما خصمين شديدين، وعدوين لدودين، يتقاتلان ويتناحران، إلى كل منصف مخلص لدينه، وربه، وأمته.

وجزى الله عنا كل خير، من بصرنا بقيمة النصح الخالص البريء، فقال: «الدين النصيحة، لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

واني لأرجو أن تكون رسالتي هذه بداية لسلسلة متتابعة من الرسائل، يقوم بها أساتذة أعلام من كل فريق، يعلنون فيها آراءهم نقية من كل شوب، خالصة من كل أجنبي دخيل، بينة لا لبس فيها ولا غموض، طيعة لا عصبية فيها ولا جمود، فإن هذا هو الطريق القويم الذي يبيّن لنا القرب

الذي يجمع بين الشيعي والسني، والوحدة التي ترفرف عليهما، والاخاء الذي يظلهما، والحب الذي يؤلف بينهما.

وأيضا يشيرون إلى ما عسى يكون في كلمتي هذه من خطأ غير مقصود، أو زلل غير متعمد، واني لعلي استعداد لأن أتقبل توجيها نافعاً، وإرشادا مفيدا، وما دمت أقصد الخير، وأهدف إلى الحق، فلن يغضبني أن يظهر عالم منصف، من هذا الفريق أو ذاك، ما عسى أكون قد أخطأت فيه: من تصوير رأي على خلاف ما هو عليه، أو محاولة توفيق تعسفت فيها أو تورطت، فإنما العصمة لله وحده، ولكل امرئ ما نوى....

وبعد....

فقد بدا لي أنه يمكن علاج موضوع (الشيعة وأهل السنة) بطريقين مختلفين:

الطريق الأول: عرض المشاكل التي تختلف فيها وجهة نظر الفريقين عرضاً علمياً، وتصويرها تصويرا دقيقاً، من وجهة نظر كل فريق على حدة، تمهيداً للفصل فيها، والحكم لأحد الفريقين على الآخر.

وهذا الطريق ميسور ليس فيه عسر ولا صعوبة، لأن مسائل الخلاف بين هذين الطرفين مبسوطة في كتب كل فريق، ويمكن لكل واحد من الطرفين أن يعرف رأى الآخر فيها وأساليبه في الطعن على من يخالفه.

وقد رأيت أن سلوك هذا الطريق لن يقلل من حدة الخلاف، ولن يزيل أسباب النفرة، وسيقال عني بخصوص ما أناصر فيه الشيعة ـ لو أني ناصرتها في شيء ـ انه سني تشيع!،وبخصوص ما أناصر فيه السنة ـ لو أني ناصرتها في شيء ـ انه سني متعصب!، ويقف الأمر عند هذا الحد.

ثم ان الخلاف بين الطرفين ليس راجعا إلى خفاء الحقيقة وعدم

ظهورها، ولكنه راجع إلى عصبية الخلف للسلف، والى ماض طويل ليس من السهل تناسيه أو طمس معالمه، والى وراثة متأصلة في النفوس ليس من السهل محوها أو استئصالها. انه خلاف يمكن أرجاعه إلى عصر الصحابة انفسهم. ولهذا فإن أية محاولة لن تستطيع ـ فيما أظن ـ أن تجعل من السنيين شيعة، ولا من الشيعة سنيين.

ثم ان هذا التحويل ليس ضروريا ولا حتميا، فإن الاختلاف في الرأي ـ فيما لا يمس أصل العقيدة ـ لا خطر فيه، لا على دين ولا على دنيا.

... لا على دين، لأن طبيعة الدين لا تأباه، بل تتسع له، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد».

ولقد أذن صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ بن جبل ـ حين أوفده إلى اليمن ـ أن يجتهد، والاجتهاد عرضة للخطأ، كما هو عرضة للصواب..

... ولا على دنيا، لأنه توسعة على الناس ورحمة بهم. واختلاف المجتهدين في فروع الدين مثل اختلاف شراح القانون في فهم نصوص القانون ومواده، كثيرا ما يكشف عن جوانب نافعة ومفيدة في غضون النص الواحد.

لكل هذه الاعتبارات لم أشأ أن أسلك هذا الطريق، بل فضلت: **الطريق الثاني**: الذي هو التعريف بالمنهج السليم الذي يجدر برجل الدين، الباحث في مسائله، أن يسلكه، ومن السهل الاتفاق على المنهج، لأنه يرتبط بمبادئ عامة يتلقاها الجميع بالقبول والرضى والتسليم، الا أنه ليس يلزم من الاتفاق على المنهج، الاتفاق على كل المسائل الخاضعة لهذا المنهج. ولكن الاتفاق على المنهج من شأنه:

١- أن يقرب وجهات النظر من ناحية.

٢- وأن يجعل احترام كل لرأي غيره، مبدأ سائدا بين الجميع، من ناحية أخرى.

وتقارب وجهات النظر من ناحية، واحترام آراء المخالفين من ناحية أخرى، هو كل ما نرجوه، وأقصى ما نرجوه في هذا المقام.

ولهذه الأسباب فضلت أن تكون معالجة موضوع: «الشيعة وأهل السنة» آتية عن هذا الطريق: طريق المنهج.

وقد بنيت هذا الطريق على عناصر خمسة:

أولهما: أن جمع كلمة المسلمين ورأب صدعهم، من أوجب الواجبات على المسلمين عامة.

ثانيهما: ان إباحة الاجتهاد في الشريعة ـ فيما وراء أصولها المقررة ـ مؤذن بالتجاوز عما يتأدى إليه الاجتهاد، عادة، من اختلاف.

ثالثها: ان الاختلاف في الفروع سبيل إلى التوسعة على الأمة، والرحمة بها.

رابعها: ان احتمال النصوص الدينية للاختلاف، عامل من عوامل مرونتها، ومسايرتها للتطور.

خامسها: انه من الواجب على المسلمين أن لا يمكنوا دعاة الفرقة من أن يتخذوا من الخلافات المذهبية سبيلا إلى تأجيج نار العداوة بينهم.

هذا وإني لأرجو أن يكون في البحث ومنهجه ما يحقق ما إليه قصدت، والله ولي التوفيق...

د. سليمان دنيا

ـ القاهرة ـ

بين الشيعة

و

أهل السنة

الشيعة وأهل السنة

«عسى أن يجمع الله الشمل، ويلم الشعث، وتـزول الفرقـة، ويتحـد الإخوان تحت راية القرآن، ويعيدوا مجدهم الغابر، وعزهم الداثر.

وانهم لن ينالوا ذلك، ولن يبلغوا العـز والحيـاة حـتى يميتـوا بينـهم النزعات المذهبية، والنزعات الطائفية.

ولازلت أقول: يلزم أن تكون جميع المذاهب عندنا محترمـة، ونحـن فوق المذاهب، نعم، وفوق ذلك كله ماهو كالبذرة والنواة لحياة الأمم، هو أن يخلص كل لأخيه المودة، ويبادله المحبـة، ويـشاركه المنفعـة، فينفعـه وينتفع به، ولا يستبد ولا يستأثر عليه، فيحب لأخيه ما يحـب لنفـسه، جدا وحقيقة، لا مخادعة ومخاتلة»[1].

هكذا يقول عالم معاصر من كبار علماء الشيعة. وهـو قـول جـدير بالتأمل والتدبر والتفكير. انه يقرر أن اختلاف الرأي في مـسائل الـدين

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ـ للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص ١٣٤، القاهرة.

التي لا تمس جوهر العقيدة، ولا أصلا من أصول الدين، لا ينبغي أن يسبب خصومات، أو يثير مواجد وأحقاداً.

وحقا ما يقول هذا العالم الفاضل، فإن الاتفاق على رأي واحد من جميع الباحثين في جميع العصور، أمر تأباه طبائع الأشياء.

ومادامت الجماعات الإسلامية لا تختلف في أصول الدين ومبادئه الضرورية:

كالاعتقاد بوحدانية الله، وقدرته التامة على الخلق والايجاد، واتصافه بكل كمال، وتنزهه عن كل نقص.

والاعتقاد بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه خاتم الأنبياء والرسل.

والاعتقاد بفرضية الصلاة والزكاة، والصوم والحج، والتصديق بالمعاد.

ومادامت القبلة واحدة، والقرآن الكريم في مكان القداسة من الجميع.

أقول: مادام هذا القدر من الدين متفقا عليه بين المسلمين، فليس يضيرهم أن يختلفوا فيما وراء ذلك من فروع وتفصيلات لا تمس جوهر العقيدة. بل ان هذا الاختلاف في الرأي مظهر من مظاهر النضج، والحيوية، واكتمال الشخصية، والاعتداد بالرأي، والوثوق بالنفس.

ثم ان في تعاليم صاحب الشريعة نفسه ما يفسح المجال للبحث والدرس، فكلنا يحفظ ذلك التوجيه الرشيد الذي زود به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، معاذ بن جبل رضي الله عنه، حين بعثه إلى

اليمن ليبشر بدعوة الإسلام، ويدعو الناس إليه، ويحكم فيهم وفق مبادئه وقوانينه.

لقد سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بم تحكم؟»، فأجاب معاذ: «أحكم بكتاب الله»، فسأله صلى الله عليه وآله وسلم ثانياً: «فان لم تجد؟»، فأجاب: «بسنة رسول الله»، فسأله صلى الله عليه وآله وسلم ثالثا: «فإن لم تجد»؟ فأجاب: «أقيس الأشياء بنظائرها»، فربت صلى الله عليه وآله وسلم على كتف معاذ معجبا، ثم قال: «الحمدلله الذي وفّق رسول الله لما يحب رسول الله».

وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ: «فان لم تجد» بعد أن قال معاذ: «أحكم بكتاب الله، ثم بسنة رسول الله» شاهد على أحد أمرين:

ـ أما على أن القرآن والسنة قد تكفلا بالأصول العامة، والمبادئ الأساسية للتشريع، ولكنهما لم يستوعبا الحوادث الجزئية بالتنصيص على كل حادثة منها.

ومن هنا فقد نبّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، معاذا، وهو بصدد الذهاب إلى اليمن، إلى أنه سوف يصادف وقائع لا يجد لها حكما في كتاب الله ولا في سنة رسوله. وأقره الرسول على أن يطلب لهذه الوقائع أحكاماً عن طريق الاجتهاد واعمال الرأي، مسترشدا بالأصول العامة والمبادئ الأساسية للتشريع.

ـ واما على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، يعلم أن المرء، مهما أوتى من سعة الاطلاع، وقوة الحفظ، فلن يستطيع أن يستوعب

كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومن أجل ذلك فهو لابد أن يصادف من الوقائع والأحداث مالا يجد له نصا ضمن ماهو داخل في نطاق حفظه وتحصيله.

ومن هنا أذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ ـ بعد أن يستعرض كتاب الله، وما يحفظه من سنة رسوله، ثم لايجد فيهما نصا صريحا لما هو بسبيل الحكم فيه ـ أن يجتهد ويستنبط.

ونقتطف هنا نصا من كتاب **أصل الشيعة وأصولها** للعالم الكبير **الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء**[1] ـ صاحب النص الذي افتتحنا

---

(١) العلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ولد في النجف، عام ١٢٩٤هـ في اسرة معروفة، من المع الاسر العلمية في العراق.. وشرع بدراسة العلوم العربية الادبية، ثم العلوم الاخرى المتداولة في اوساط الحوزات العلمية وتوغل في دراسة التفسير، والفقه والاصول وحصل على قسط كبير من العلم والفضل، فصار من ابرز علماء الشيعة المعروفين... أثرى الشيخ العلامة، كاشف الغطاء المكتبة العربية ـ الاسلامية بمختلف الآثار، في شتى العلوم الدراجة بلغت الثمانين اثرا منها: المراجعات الريحانية، الدين والاسلام، الآيات البينات في قمع البدع والضلالات، التوضيح في بيان ما هو الانجيل ومن هو المسيح، الفردوس الاعلى، السياسة الحسينية، الارض والتربة الحسينية، جنة المأوى، شرح العروة الوثقى (في الفقه وفي اربع مجلدات)، حاشية على الأسفار، (في الفلسفة) تنقيح الكفاية (في الاصول) تعليقات على الوجيز في تفسير القرآن العزيز (في التفسير)، الاجتهاد والتقليد، مجموعة الفتاوى، اصل الشيعة واصولها... والكتاب هذا طبع اكثر من خمسين طبعة في العراق، وايران ومصر ولبنان وترجم الى الفارسية والانجليزية والتركية والاوردية و... ويعتبر من اهم الآثار المختصرة، حول عقائد الشيعة.. وكان للشيخ العلامة كاشف الغطاء دور خاص في مجال الدعوة الى الاتحاد و التقريب واشترك بجد في المؤتمرات الاسلامية في اقطار العالم الاسلامي وكان على صلة دائمة مع علماء السنة في العراق ومصر والجزائر وباكستان وغيرها من البلاد.. والمراسلات بينه وبين علماء السنة كثيرة،

←

به هذا المقال ـ يقول: [1]

«ان الصحابي قد يسمع من النبي في واقعة حكما، ويسمع الآخر في مثلها خلافه، وتكون هناك خصوصية في أحدهما اقتضت تغاير الحكمين، وغفل أحدهما عن الخصوصية، أو التفت إليها وغفل عن نقلها مع الحديث فيحصل التعارض في الأحاديث ظاهرا، ولا تنافي واقعا.

ومن هذه الأسباب وأضعاف أمثالها احتاج حتى نفس الصحابة

تقتطف سطورا من احدى رسائله التي ارسلها الى الشيخ محمود شلتوت ـ شيخ الازهر الشريف ـ جاء فيها: «فضيلة العالم الجليل الشيخ محمود شلتوت أيده الله اطلعت على كلمة لكم في بعض الصحف، كان فيها لله رضاً وللأمة صلاح. فحمدناه تعالى على ان جعل في هذه الامة وفي هذا العصر من يجمع شمل الامة ويوحد الكلمة ويفهم حقيقة الدين ويزيد الاسلام لاهله بركة وسلاما وما برحنا منذ خمسين عاما تسعى جهدنا في التقريب بين المذاهب الاسلامية وندعو الى وحدة اهل التوحيد..».

ان ما قيل حول شخصية الفذة كثيرة جدا، ننقل منها نماذج مختصرة فقط يقول الزركلي:

«أنه مجتهد امامي اديب من زعماء الثورات الوطنية في العراق. كان من الكتاب الشعراء الدعاة الى الوفاق بين المسلمين. انتهت اليه الرئاسة في الفتوى والاجتهاد بعد وفاة اخيه احمد بن علي..» (الاعلام، للزركلي ج ٦: ص ١٠٦ ـ ١٠٧). وقال كحالة: «فقيه اصولي مجتهد محدث اديب شاعر... ساهم في الثورات العراقية ضد الاستعمار البريطاني..» (معجم المؤلفين ج ٩، ص ٢٥٠). ويقول العلامة المدرس التبريزي في موسوعته القيمة: «من فحول العلماء الامامية المتبحرين الثقات العدول ومن فقهاء الاثني عشرية. وحيد عصره وفريد دهره. كان متبحرا في الفقه والاصول والكلام والحديث والرجال والدراية والتفسير والعلوم الدينية الاخرى..» (ريحانة الادب، طبعة تبريز، ج ٣ ص ٣٤٣). للمزيد راجع ـ سلسلة رواد التقريب٣ـ «الامام كاشف الغطاء» تأليف محمد جاسم الساعدي، ايران، تهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤٢٨ هـ.

(خسروشاهي)

(١) اصل الشيعة واصولها، ص ٧٨.

الذين فازوا بشرف الحضور، في معرفة الأحكام إلى الاجتهاد والنظر في الحديث وضم بعضه إلى بعض، والالتفات إلى القرائن الحالية، فقد يكون للكلام ظاهر، ومراد النبي خلافه، اعتماداً على قرينة كانت في المقام والحديث نقل والقرينة لم تنقل.

وكل واحد من الصحابة ـ من كان من أهل الرأي والرواية، إذ ليس كلهم كذلك بالضرورة ـ تارة يروي نفس ألفاظ الحديث للسامع من بعيد أو من قريب، فهو في هذه الحالة راوٍ محدث.

وتارة يذكر الحكم الذي استفاده من الرواية أو الروايات، بحسب نظره واجتهاده، فهو في هذه الحال مفتٍ وصاحب رأي.

وأهل هذه الملكة مجتهدون. وسائر المسلمين الذين لم يبلغوا إلى تلك المرتبة إذا أخذوا برأيه مقلدون.

وكان ذلك قد جرى في زمن صاحب الرسالة وبمرأى منه ومسمع، بل ربما أرجع[1] بعضهم إلى بعض.

على أن الناس من هذا بازاء أمر واقع لا محالة.

وإذا أمعنت النظر فيما ذكرناه اتضح لديك أن باب الاجتهاد كان مفتوحاً في زمن النبوة وبين أصحابه، فضلاً عن غيرهم، وفضلاً عن سائر الأزمنة التي بعده.

---

(١) يعني الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

نعم غايته ان الاجتهاد يومئذ كان خفيف المؤونة جدا، لقرب العهد، وتوافر القرائن، وامكان السؤال المفيد للعلم القاطع.

ثم كلما بعد العهد من زمن الرسالة، وتكاثرت الآراء، واختلطت الأعراب بالأعاجم، وتغير اللحن، وصعب الفهم للكلام العربي على حاق معناه، وتكثرت الأحاديث والروايات، وربما دخل فيها الدس والوضع، وتوفرت دواعي الكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أخذ الاجتهاد ومعرفة الحكم الشرعي يصعب ويحتاج إلى مزيد مؤونة، واستفراغ وسع، وجمع بين الأحاديث، وتمييز الصحيح منها من السقيم، وترجيح بعضها على بعض.

وكلما بعد العهد وانتشر الإسلام، وكثرت العلماء والرواة، ازداد الأمر صعوبة، ولكن مهما يكن الحال، فباب الاجتهاد كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفتوحا، بل كان أمرا ضروريا عند من يتدبر.

ثم لم يزل مفتوحا عند الامامية إلى اليوم.

والناس بطبيعة الحال لا يزالون بين عالم وجاهل. وبسنة الفطرة، وقضاء الضرورة أن الجاهل يرجع إلى العالم. فالناس ـ اذن ـ في الأحكام الشرعية بين عالم مجتهد، وجاهل مقلد يجب عليه الرجوع في تعيين تكاليفه إلى أحد المجتهدين.

والمسلمون متفقون أن أدلة الأحكام الشرعية منحصرة في الكتاب والسنة، ثم العقل والاجماع. ولا فرق في هذا بين الامامية وغيرهم من فرق المسلمين».

هذا ما يقول الشيخ آل كاشف الغطاء.

وواقع الحال هو كما يصوره، ولهذا فإن الاجتهاد واعمال الفكر في استنباط الأحكام الشرعية، ضرورة لا مندوحة منها.

ولقد رأينا كيف أذن صاحب الشريعة نفسه بالاجتهاد واعمال الفكر، لاستنباط الأحكام الشرعية.

وإذا كان الاجتهاد هكذا ضرورة لابد منها، وإذا كان صاحب الشريعة نفسه قد أذن فيه، كان ضربا من ضروب المحال أن نتوقع اتفاق المجتهدين وعدم اختلافهم في أمر من الأمور.

وما دام اجتهادهم بعيدا عن أصول العقيدة الإسلامية، ومنحصرا في دائرة الفروع، فلا ضرر في هذا الاختلاف، ولا داعي للخوف منه. انه كما قلت سابقا: دليل على النضج الفكري، والاعتداد بالنفس، وكلاهما ضروري لمن يزاول عملا هاما.

بل مالنا نذهب بعيدا، فهؤلاء هم فقهاء السنة قد اختلف بعضهم مع بعض، فهذا مالك بن أنس أمام دار الهجرة يختلف مع أبي حنيفة، حتى صار لكل واحد منهم، مذهب مستقل عن الآخر.

وهذا هو الشافعي يقف بين مالك وأبي حنيفة، يأخذ من كل منهما ما يراه حسنا، ويصوغ من مجموع ذلك مذهبا جديدا، لا هو حنفي صرف، ولا هو مالكي صرف.

وهذا هو الامام أحمد بن حنبل ينحو منحى آخر يختلف قليلا أو كثيرا عن منحى سلفه.

بل أن أصحاب المذهب الواحد يختلف بعضهم مع بعض، فهذان: أشهب وابن القاسم من علماء المالكية يختلفان معا اختلافا كبيرا. وقد يختلف أشهب مع مؤسس المذهب نفسه الامام مالك بن أنس.

وكذلك الحال في المذاهب الأخرى، فليس كل رجال المذهب الواحد على رأي واحد في كل المسائل.

ولقد يتجاوز الأمر هذا الحد، فيختلف الشخص الواحد على نفسه، فهذا هو الامام الشافعي يؤلف ويجتهد في الفترة الأولى من حياته، ويذيع آراءه بين الناس، ويتبعه الناس فيما يقول، ثم هو في فترة أخرى من حياته يغير رأيه في كثير مما كان يقول به، ويذيع بين الناس آراء جديدة.

ولهذا عرف بين الناس بصاحب المذهبين: المذهب القديم، والمذهب الجديد، ولايزال مذهب الشافعي ـ حتى وقتنا الحاضر ـ مشطورا شطرين، يعرف أحدهما بمذهب الشافعي القديم، والآخر بمذهب الشافعي الجديد، ولكل أنصاره وأتباعه من علماء الشافعية.

وأظن أن الحال عند الشيعة لا تختلف كثيرا عما هي عليه عند أهل السنة.

وإذا كان أهل السنة يتسع صدرهم لما يحدث بينهم من خلاف، والشيعة يتسع صدرهم لما يحدث بينهم من خلاف، فلماذا لا يتسع صدر أهل السنة للشيعة، ويتسع صدر الشيعة لأهل السنة، مثل ما يتسع صدر أهل السنة بعضهم لبعض والشيعة بعضهم لبعض؟!

ان عداء كل فريق للآخر، أو خصومته له، وعدم تفاهمه معه تفاهما مستمدا من روح الإسلام السمحة المؤاخية، لابد أن يكون لـه أسـباب بعيدة عن الإسلام نفسه، من عصبية كل لرأيه، أو عدم فهمه لرأي غيره فهما صحيحا، لأن مسائل الخلاف بين الفريقين ترجـع إلى موضـوعات ثانوية لا تمس جوهر العقيدة، ولا تستأهل أن تـسبب فرقـة، أو تـثير خصومة، فمن هذه المسائل مثلا اولاً:

مسألة الرجعة

وهي اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى سوف يحيي بعض من ماتوا ليعودوا إلى الحياة الدنيا ثانية[1]، ومثل هذا الاعتقاد لا ينبغي أن يحدث جلبة أو ضوضاء، لأن مثل هذا الأمر لا تعجز قدرة الله عنه، فلا يحتاج امكانه إلى دليل، وانما الاعتقاد في وقوعه هو الذي يحتاج إلى دليل، فمن تثبت عنده أدلة وقوعه فليعتقده، ومن لا تثبت عنده أدلة ذلك فليطرحه في غير ما جلبة، ولا ضوضاء، كما هو الواجب في كل خلاف علمي، خاصة ما يكون منه هينا غير خطير.

وإذا علمنا أن الرجعة ليست ذات مكان ملحوظ بين عقائد الشيعة، أدركنا أن الخلاف بشأنها، والتشنيع عليهم من أجلها ليس وراءه طائل وليس من الحكمة في شيء، فضلا عن أنه يزيد شقة الخلاف، ويفرق جمعا أولى به أن يأتلف، ويتيح الفرصة لمن يريد أن ينفث سمومه بين الاخوة، ويبذر بذور الشقاق بينهم.

---

(١)اصل الشيعة واصولها، للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ص: ٣١ .

ولقد يهون الأمر على من يستنكرون القول بالرجعة إذا هم قرؤوا قول الله تعالى: «ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا، ثم أحياهم».

أو أذا علموا أن علماء الشيعة أنفسهم يصرحون قائلين:

«وليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم، ولا انكارها بضار، ولا يناط التشيع بها وجودا وعدما، وليست هي الا كبعض أنباء الغيب، وحوادث المستقبل، وأشراط الساعة، مثل نزول عيسى من السماء!، وظهور الدجال، وأمثالها من القضايا الشائعة عند المسلمين، وما هي من الإسلام في شيء، ليس انكارها خروجا منه، ولا الاعتراف بها بذاته دخولا فيه. وكذلك حال الرجعة عند الشيعة»[1].

انه بعد هذا التصريح لا ينبغي أن تثير مسألة الرجعة، خلافا ذا بال بين الشيعة وأهل السنة، ولا ينبغي أن يتخذها أهل السنة مثار أي اعتراض، فإنه ليس لذلك من أثر سوى التنابذ والتناحر والتدابر، وعن كل ذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: «لا تنابزوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله اخوانا».

وقد أبان الله جلت قدرته مبلغ ما يلحق المتنازعين من خيبة وفشل، إذ قال: «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم».

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٠ – ٣١.

لا نزاع في أن البحث العلمي حق مشاع لا يمنع منه من تؤهله كفايته له، ولكن البحث العلمي شيء، والتحامل على الغير والتشهير به شيء آخر، وإذا كان للأول فوائده ومنافعه، فللأخيرين مضارهما وعواقبهما الوخيمة.

ومن أمثلة ذلك ما سبق إليه قلم باحث معاصر، إذ رمى الشيعة بتهم شائنة، ونسب اليهم مذاهب الحادية متطرفة، وصورهم تصويراً يجعلهم خطرا(!!) على الإسلام والمسلمين.

ولا شك أن من يستمع إلى هذا التصوير وما جاء فيه، تعتريه نوبة حزن عميق، من اتخاذ بعض المذاهب الإسلامية شعارا يتستر به خصوم الإسلام، وينفثون عن طريقه سمومهم القتالة، وأن يكون بين المسلمين من ينخدع بمثل هذه الآراء، ويظنها من الإسلام، ثم يتمذهب بها، ويتشيع بها.

هذا مالابد أن يخالط نفس كل من يقرأ هذه العبارات من غير الشيعة، ولكن الشيء الذي لم يكن يخطر بالبال قط، أن يتهم الشيعة هذا الكاتب وأمثاله بعدم الدقة في التصوير، أو بعدم التثبت من المصادر التي استقوا منها معلوماتهم تلك.

استمعوا إلى صاحب كتاب أصل الشيعة وأصولها، يقول:

«كان ينبغي أن يذكر من هو القائل بهذا القول من الشيعة؟ فهل مراده ما يسمونهم غلاة الشيعة كالخطابية والغرابية والعلياوية والمخمسة واليزيدية وأشباههم من الفرق الهالكة المنقرضة التي نسبتها إلى الشيعة

من الظلم الفاحش، أو ما هي من الملاحدة، كالقرامطة ونظائرهم؟

أما الشيعة الامامية وأئمتهم فيبرؤون من تلك الفرق براءة التحريم.

وأعني بالشيعة الامامية، جمهرة العراق وايران وملايين من مسلمي الهند، ومئات الألوف في سوريا، ولبنان، والأفغان فان جميع تلك الطائفة من حيث كونها شيعة يبرؤون من تلك المقالات ويعدونها من أشنع الكفر والضلالات، وليس دينهم الا التوحيد المحض، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق، أو ملابسة في صفة من صفات النقص والامكان والتغير والحدوث.

وما ينافي وجوب الوجود والقدم والأزلية، إلى غير ذلك من التنزيه والتقديس المشحونة به مؤلفاتهم في الحكمة والكلام من مختصرة أو مطولة، مما يتجاوز الألوف. وأكثرها مطبوع منتشر، وجلها يشتمل على اقامة البراهين الدامغة على بطلان التناسخ والاتحاد والحلول والتجسيم.

ولو راجع المنصف الذي يمشي وراء الحقائق، وفوق العصبية والأغراض شيئا منها، لعرف قيمة قذف الشيعة بالتناسخ والحلول والتجسيم.

والقصارى أنه ان أراد بالشيعة تلك الفرق البائدة، والمذاهب الملحدة ـ التي لا أحسب أن على رقعة الأرض منهم اليوم نافخ ضرم ـ فنحن لا نضايقه في ذلك، ولكن نسبتهم إلى الشيعة ظلم فاحش، وخطأ واضح، وقد أساء التعبير وما أحسن البيان ولم يعط الحقيقة حقها.

وان أراد بالشيعة الطائفة المعروفة اليوم بهذا الاسم، التي تعد

بالملايين من المسلمين فنحن نطالبه باثبات ذلك من مصنفات احد علمائهم من حاضر أو غابر»(١).

لشد ما يدهش الإنسان ويثلج صدره ـ في الوقت ذاته ـ أن يجد علماء الشيعة يبرءون مما ينسبه اليهم غيرهم من شطحات تبعد بقائلها عن النهج القويم والسنن المستقيم.

ولشد ما يدهش الإنسان ويحزنه ان يسمع ان من يتصدون للتأريخ للعقائد والمذاهب، غير واقفين على المصادر الأصلية للعقائد والمذاهب التي يؤرخون لها، فإن عدم الاحتياط الكافي لهذا الأمر، فضلا عن أنه يقدم معلومات غير دقيقة لطلاب العلم، يثير خصومات بين الطوائف الإسلامية ما أغنانا في وقت تحبب الناس فيه حتى إلى خصومهم، فضلا عن اخوانهم، وبحق يقول صاحب «أصل الشيعة وأصولها»(٢).

«وقد عرف كل ذي حس، مسيس الحاجة، وقيام الضرورة الحافزة، إلى شد عقدة الوحدة، وابرام مراسمها، واحكام أساسها، وانه لا حياة للمسلمين اليوم الا بالتمسك بعروتها، والمحافظة عليها، والا فلا حياة عزيزة ولا ميتة شريفة.

ولو عرف المسلمون حقيقة مذهب الشيعة، وأنصفوا أنفسهم واخوانهم لأماتوا روح تلك النشرات الخبيثة التي تثير الحفيظة وتزرع

---

(١) أصل الشيعة وأصولها ص ٣٣ و ٣٥.

(٢) ص ٥١.

الضغينة، وتكون قرة عين وأكبر سلاح للمستعمرين وللملاحدة العصر الذين هم أعداء كل دين.

أفلا يثير الحفيظة ويؤجج نار الشحناء في صدور عامة الشيعة ما يقوله من يقول: «والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام»! إلى آخر ما قال.

يكتب هذا وهو يعلم أن القصد من ورائه، والتمحيص على أثره، وأنه يجرح عاطفة أمة تعد بالملايين وتتكون منها طائفة عظمى من المسلمين».

هكذا يقول عالم كبير من علماء الشيعة بصدد ما ينسبه اليهم بعض الباحثين.

وان الأمر ـ عندي ـ ليعدو أن يكون جرحا لعاطفة، أو اثارة لشعور، رغم ماهذين الأمرين من أهمية بالغة ينبغي أن تراعى، خصوصاً إذا كان جرح العاطفة وأثارة الشعور لا يتعلقان بفرد أو مجموعة افراد، ولكنهما يتعلقان بشعب باسره، أو بجملة شعوب، فمراعاة الشعور في هذه الحالة تكون من ألزم اللوازم، إذ أنها تساعد على خلق جو يسمح بالتفاهم والتواد، واغلاق أبواب الدس والايقاع في وجه خصوم الإسلام الذين ينتهزون الفرص ويعملون في غير كلل أو ملل، على تفريق كلمة المسلمين والايقاع بينهم، واذكاء نار الخصومة الدينية التي تجعل منهم أمما مختلفة. لا أمة واحدة تدين برب واحد، ونبي واحد وشريعة واحدة.

وان أعز أماني المستعمرين ـ بخاصة ـ وأعداء الإسلام بعامة، أن يجدوا الأمة الإسلامية ممزقة الأوصال، مفككة العرى. وليس من الحكمة في شيء أن نقتل أنفسنا بأيدينا، وأن نحقق لخصوم الإسلام أعز أمانيهم فينا.

أقول: ان الأمر ليعدو أن يكون جرحا لعاطفة أو اثارة لشعور، رغم ما لهذين الأمرين من خطر، على ماهو معروف، انه ليتعدى ذلك إلى أمر يخص العلماء ويهم الباحثين، ذلكم هو التحقيق العلمي. فكيف يجوز لباحث أن يغفل أوليات هي ضرورية لكل بحث، وحتمية على كل باحث، تلك هي التثبت من مصادر الفكرة قبل التعرض لنقدها.

ولعل خير نصيحة تقدم في هذا المقام هي رجاء الباحثين أن يرجعوا للمصادر الأصلية للفكرة، وأن لا يأخذوها من أي كتاب اتفق لهم، وإذا كان هذا الاحتياط لازما لكل بحث، وواجبا على كل باحث، فإنه أشد لزوما وأعظم ضرورة حين يتصل البحث بمسائل حساسة كالمعتقدات بعامة، ومعتقدات الفرق الإسلامية بخاصة، ذلك لأن التهاون في تصوير هذه المعتقدات تصويرا صحيحا يثير مشاكل، ويسبب خصومات، لا يكون من أثرها الا تمزيق الوحدة الإسلامية، واثم هذا الجرم عند الله عظيم.

ومن كلام سماحة الشيخ محمد التقي القمي في التصدير الذي قدم به لكتاب «وسائل الشيعة»:

«وإذا كان الأمر اشتبه على كثيرين فخلطوا بين الشيعة والغـلاة، أو أرباب المقالات الفاسدة، فـان أقـوال الأئمـة صـريحة في لعـن الغـلاة، والحكم بكفرهم، بل انهم كثيرا ما حذروا أصحابهم من الأخذ بما يدسه الغلاة.

اسمعوا إليهم وهم يقولون لأصحابهم:

١ـ لا تقبلوا علينا حديثا، الا ما وافق القرآن والسنة.

٢ - اتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا صـلى الله عليه وآله وسلم.

٣- والامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ـ في معرض حديثه عن بعض الغلاة، ولعنه أياهم، يقول:

فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فانا ان تحدثنا، حدثنا بموافقة القرآن، وموافقة السنة، انا عن الله وعن رسوله نحـدث، ولا نقـول: قـال فـلان وقال فلان...».

ولا شك في أن الأئمة مـن آل البيـت رضـوان الله عليـهم، لهـم في نفوس أهل السنة كل تجلة واكبار واحترام، انما الكـلام في حـق هـؤلاء الغلاة انفسهم، وفي حق من يتهاون في تمييز نفسه منهم.

مسألة المتعة

ثانيا: المتعة[1] فالشيعة يرون أن زواج المتعة حـلال، وأهـل الـسنة يرون أن زواج المتعة حرام.

ولا أحب هنا أن أتدخل في هذا النزاع، أو أن أفـصل فيـه، قـائلا: هؤلاء محقون، وأولئك مخطئون فمتى كان ذلك ممكنـا في مـسألة فرعيـة تضاربت فيها الأدلة، وتعارضت وجهات النظر؟

ثم ان عملا كهذا لن يحسم النزاع، ولـن يكـون أكثـر مـن انـضمام شخص لأحد الطرفين المتنازعين.

ويجدر بي في هذا المقام أن أعرض على أهـل الـسنة صـورة زواج المتعة بالوضع الذي هو عليه عند علماء الشيعة، فان التشنيع والتحريف والعصبية، كثيرا ما تلعب دورها في تصوير هذه المـسألة علـى خـلاف ماهي عليه عند الشيعة.

---

(١) هذه المسألة تعتبر أهم مسألة فقهية خلافية بين الطرفين.

يقول الشيخ محمد التقي القمي في مقدمة كتاب «المختصر النافع» - في الفقه الشيعي - الذي طبعته وزارة الأوقاف المصرية أخيراً:

«زواج المتعة: هو زواج امرأة خالية من الموانع الشرعية، يلزم فيه عقد ومهر، ويترتب عليه ميراث الولد، وعدة الزوجة بانقضاء المدة، أو الانفصال».

ويصور سماحة السيد القمي - في نفس الموضع - موقف الفريقين المتنازعين فيه، فيقول:

«ليس أساس الخلاف فيه التردد في أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، شرعه.

ولا أن من الصحابة من عمل به على عهده.

ولا أن بعضهم استمر يرى بقاء هذه المشروعية بعد وفاة الرسول.

انما الخلاف في أن هذا الحكم نسخ أو لم ينسخ؟

وثبت النسخ عند فريق، ولم يثبت عند الفريق الآخر».

سبيل التقريب

ويعجبني من صاحب السماحة الشيخ محمد التقي القمي، قوله شارحا وجهة نظر المقربين بين المذاهب والفرق: «انما دعوتنا أن يتحد أهل الاسلام على أصول الإسلام التي لا يكون المسلم مسلما الا بها، وأن ينظروا فيما وراء ذلك نظرة من لا يبتغي الفلج والغلب، ولكن يبتغي الحق والمعرفة الصحيحة، فإذا استطاعوا أن يصلوا بالانصاف والحجة البينة إلى الاتفاق في شيء مما اختلفوا فيه، فذاك، والا فليحتفظ كل منهم بما يراه، وليعذر الآخرين ويحسن الظن بهم فان الاختلاف على غير أصول الدين لا يضر بالايمان، ولا يخرج المختلفين عن دائرة الإسلام».

وماذا يمكن أن يقال في منهج كهذا، يفصل أصول الدين عن فروعه ويجعل الأولى أسمى من أن ينالها خلاف، أو أن تخضع لنقاش، لأنها أوضح من أن يدور حولها خلاف، وآكد من أن تحتاج إلى اثبات.

ويجعل الثانية في مكانها الذي وضعها فيه صاحب الشريعة نفسه(١).

ثم يحاول أن يستبعد من مجال البحث والنظر كل ما من شأنه أن يفسده، من عصبية أو هوى، أو حب انتصار وغلب، ولا يستبقي الا ما هو لازم للبحث العلمي النزيه من أدلة صحيحة وشواهد صادقة، ثم يقول: إذا أمكن ـ في ضوء مجموعة الشواهد الصادقة والأدلة الصحيحة التي يملكها الطرفان المتنازعان ـ أن يصار إلى رأي واحد، بدلا من عدة آراء، فذلك دليل على أن المسألة ليست قابلة للاختلاف، والاختلاف في هذه الحالة ليس الا تحديا، لا للفريق الآخر وحده، بل للدين نفسه أيضا، الذي دل بالشواهد الكافية على وجهة نظر خاصة.

فإذا لم يمكن أن يصار إلى رأي واحد ـ مع مراعاة ما أشرنا إليه من توخي الحق ـ كان ذلك معناه أن نصوص الشريعة تفسح صدرها لأكثر من رأي واحد.

وفي هذا الحال ينبغي أن نفسح صدرنا ـ مثل ما أفسحت الشريعة صدرها ـ للرأي المخالف، وأن نعتبر ذلك تيسيرا من الشارع الحكيم.

ومالنا نذهب بعيدا، ونبدئ ونعيد في المسألة، كأنما هي مشكلة صادفتنا في هذه الأيام ولسنا ندري لها حلا، مع أن لفتة يسيرة إلى الماضي كفيلة أن ترينا رأي أسلافنا فيها وسلوكهم العملي بازائها، فلقد اختلفوا، ولكنهم لم يتعادوا بسبب اختلافهم، ودعوا إلى الاتفاق في الرأي ان توافرت أسبابه، واستقامت وسائله. ولقد مكنوا من فرض آرائهم

---

(١) حيث يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «اختلاف أمتي رحمة»، ويقول: «من اجتهد فأصاب فله اجران، ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد.»

على مخالفيهم فأبوا ورفضوا، وكان شعارهم احترام رأي الغير، وان كانوا لا يرونه حقا، وقد عرف عن كل واحد منهم أنه كان يرى أن رأيه صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيره خطأ يحتمل الصواب. وهذا أعظم ما يتصور من الانصاف، انصاف المرء لنفسه، وانصافه لغيره. وبحق يقول السيد القمي:

«ولقد كانت سيرة أسلافنا هؤلاء - في ثقة بعضهم ببعض، وعذر بعضهم لبعض - آية من آيات الله في الاخلاص، وحسن النية، والاحتفاظ بما ينبغي أن يكون بين أهل العلم والدين من أخوة، فكان بعضهم يصلي خلف بعض مثل ما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وغيرهم، رضي الله عنهم، يصلون خلف أئمة المدينة، وان كانوا - يعني أئمة المدينة - لا يقرؤون البسملة لا سرا ولا جهرا.

وصلى الرشيد اماما وقد احتجم، فصلي الامام أبو يوسف خلفه ولم يعد، وكان أفتاه الامام مالك بأنه لا وضوء عليه. وكان الامام احمد بن حنبل يرى الوضوء من الرعاف والحجامة، فقيل له: فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ، هل نصلي خلفه؟ فقال: كيف لا أصلي خلف الامام مالك وسعيد بن المسيب؟

وصلى الشافعي رحمه الله الصبح قريبا من مقبرة الامام أبي حنيفة، رحمه الله، فلم يقنت تأدبا معه».

هكذا كان سلفنا الصالح يعامل بعضهم بعضا، ويحترم بعضهم بعضا ويراعي بعضهم شعور بعض، رغم اختلافهم في الرأي، ورغم وثوق كل واحد منهم بوجهة نظره، ولكن مع هذا الوثوق لم يحاول واحد منهم أن

يفرض رأيه على غيره، أو يلزمه به، ولم يقف الأمر عند حد عدم محاولتهم فرض آرائهم على غيرهم، بل جاوزه إلى ابائهم أن تفرض آراؤهم على غيرهم، فكلنا يعلم موقف الامام مالك رضي الله عنه من الخليفة المنصور. لقد عزم المنصور أن يأمر بنسخ كتب الامام مالك وارسالها إلى حكام الأقاليم ليعملوا بما فيها، ولا يتعدوها إلى غيرها، فعارض الامام مالك في هذا وقال للمنصور:

«لا تفعل هذا، فان الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سبق لهم، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم».

أين نحن الآن من هذه السماحة التي لا نعرف لها نظيرا الا في سلوك النبيين. ولا ينبغي أن يستعظم من العلماء أن يسلكوا سلوك الأنبياء، بل ينبغي أن يستعظم منهم أن لا يسلكوا سلوك الأنبياء، فان العلماء يضعون أنفسهم بحكم وظيفتهم في الحياة، ويضعهم الشارع الحكيم نفسه ـ في مكان الأنبياء، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء» والأنبياء لم يورثوا العلماء مالا وضياعا، وانما ورثوهم رسالتهم وما تقتضيه هذه الرسالة من تبشير بها ودعوة لها، وعمل بمقتضاها. وإذا لم يكن العلماء أول من يأخذ نفسه بأوامر الله تكون دعوتهم الناس إليها دعوة مزيفة مصطنعة.

لهذا لا ينبغي أن نستغرب من مالك صنيعه هذا، بل ينبغي أن نستغرب أن لا نصنع نحن الآن مثل ما كان يصنع مالك.

مسألة الامامة

ثالثاً مسألة الامامة: ويهتم الشيعة بهذه المسألة اهتماما كبيرا، حتى أنهم ليجعلونها في اطار واحد، مع المسائل التي يجب على المرء الإيمان بها، ليكون ايمانه كاملا وهي أصل[1] من أصول المذهب عندهم، ويقولون:

انها منصب الهي، بمعنى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ينص على من يتولى الأمر بعده، ليكون اماما، وهذا الامام ينص على من بعده، وهكذا..

ومهمة الامام، حفظ الشريعة، وتبليغ أحكام الرسول، وهو في نظرهم لابد أن يكون حاصلا على مميزات تجعله أفضل أهل زمانه، وتؤهله لما يناط به من مهام.

---

(١) بمعنى أن منكره لا يكون في نظر الشيعة شيعيا، وان كان لا يخرج عن الاسلام .

والامامة متسلسلة في اثنى عشر، كل سابق ينص على اللاحق[١].

ويشترطون أن يكون الامام معصوما عن الخطأ والخطيئة، والا لزالت الثقة به، وأن يكون أفضل أهل زمانه في كل فضيلة، وأعلمهم بكل علم، لأن الغرض منه تكميل البشر وتزكية النفس وتهذيبها بالعلم والعمل الصالح، والناقص لا يكون مكملا، والفاقد لا يكون معطيا، فالامام في الكمالات دون النبي وفوق البشر. قال الله تعالى: «اني جاعلك للناس اماما، قال: ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين».

يقولون: من اعتقد بالامامة بالمعنى الذي ذكرناه، فهو مؤمن بالمعنى الأخص، وإذا اقتصر على تلك الاركان الأربعة ـ التوحيد، والنبوة، والمعاد، والعمل بالفرائض ـ فهو مسلم ومؤمن بالمعنى الأعم. تترتب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه، وحرمة غيبته.

والغرض: أن أهم ما امتازت به الشيعة عن سائر فرق المسلمين هو القول بإمامة الأئمة، وبه سميت هذه الطائفة امامية، إذ ليس كل الشيعة تقول بذلك، كيف واسم الشيعة يجري على الاسماعيلية[٢]، والواقفية

---

(١) يلاحظ أن الشيعة الزيدية والاثني عشرية مع اتفاقهم على القول بالامامة، يختلفان فيما بينهم بشأنها، فيرى الاثنا عشرية أن الائمة اثنا عشر فقط، ويرى الزيدية عدم الوقوف عند عدد معين، وكذلك يرى الاثنا عشرية أن الامام يعرف بالنص، ويرى الزيدية أنه يعرف بالوصف.

(٢) اسم الاسماعيلية يطلق على فرقتين: احداهما تسمى البهرة، وليس بينهم امام، ولكن رؤساؤهم ←

والطحية وغيرهم، هذا إذا اقتصرنا على الداخلين في حظيرة الإسلام منهم.

أما لو توسعنا في الاطلاق والتسمية حتى للملاحدة! الخارجين عن حدوده كالخطابية وأضرابهم، فقد تتجاوز طوائف الشيعة المائة أو أكثر،[1] ببعض الاعتبارات والفوارق.

ولكن يختص اسم الشيعة اليوم على اطلاقه بالامامية التي تمثل أكبر طائفة في المسلمين اليوم بعد أهل السنة..

هذا ما يقوله الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، في كتابه أصل الشيعة وأصولها[2].

وقبل أن أعرض لموقف أهل السنة من مسألة الامامة، أتعجل هنا فأشير إلى نقطة هامة وردت في النص السابق لا ينبغي أن يمر قارئه بها دون أن يقف عندها، ويتدبرها ويتمعنها. تلكم هو قوله:

«وإذا اقتصر المعتقد على التوحيد، والنبوة، والمعاد. والعمل بالفرائض، فهو مسلم ومؤمن تترتب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله، وعرضه ووجوب حفظه، وحرمة غيبته».

يسمون بـ«الدعاة» ويقيمون في الهند وفي مناطق مختلفة من شرق أفريقيا، وهم في عقائدهم معتدلون، وعقائدهم وعباداتهم أقرب ما تكون إلى الامامية.والثانية: هم المسمون بـ الاسماعيلية (الأغاخانية) والشيعة الامامية تبرأ منهم.

(١) واليوم لا يوجد لهم اسم ورسم: ولاعين ولا اثر.. (خسروشاهي)

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص ٦١.

فان هذه النقطة صريحة في أن الشيعة ينظرون إلى من لا يؤمن بأصل هام من أصولهم ـ بل بأهم ما يميزهم عن غيرهم ـ وهو الامامة، نظرة اعتدال وانصاف، فهو في نظرهم مسلم مؤمن، له كل ما للمسلم المؤمن من أحكام.

وهذه مسألة يجب أن تسجل لهم، وأن يتخذ منها دليل على حسن نواياهم، ومبلغ انصافهم، وعلى ضرورة أن ينظر اليهم الغير نظرة فيها من التسامح، مثل ما في نظرتهم إلى الغير.

وأعود إلى الحديث عن الامامة من وجهة نظر أهل السنة، فأقول: لا شك أن الحديث عن الامامة. والامام المعصوم، بهذه الصورة حديث حلو عذب، وأمل يتمناه كل مسلم، فمن ذا الذي لا يتمنى أن يكون بين المسلمين في كل زمان، قائد وامام مؤيد من الله، معصوم من الخطأ؟ يرجع إليه الناس في كل ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم، فيجدون لديه علاجا لمشاكلهم، وتطمينا لخواطرهم، وراحة لنفوسهم، يجدون فيه امتدادا لأشعة نور الوحي، وهدى الرسالة، ويجدون فيه قبسا من نور، يستنيرون به في الظلمات، ويتغلبون به على المعضلات، ويجتمعون حوله حينما تثور بهم نوازع الفرقة والشقاق؟

من ذا الذي يكره ذلك ولايتمناه من كل قلبه؟

ولكن أين هو؟ انه في نظر الامامية غائب وسيعود[1]. ولا يعرف الإمامية، على وجه التحديد، متى يعود. فآل الأمر، والحالة هذه، بالفريقين معا، فريق أهل السنة، وفريق الشيعة الامامية، إلى الوقوف أمام الكتاب والسنة، وما يتبعهما من أصول، وجها لوجه، لا شيء غير ذلك. فينبغي اذن أن لا تتسع بهم شقة الخلاف، وأن يكون كتاب الله وسنة رسوله، جامعين لشمل تبدد، ووحدة تفرقت.

ونعود إلى النص السابق ثانية، لنتمعن فيه أمرا آخر لا ينبغي أن يمر بنا دون أن نتمعنه:

ان هذا النص يقرر أن اسم الشيعة يطلق على جماعات يبرأ الإسلام منهم، ولا يراهم جديرين بحمل اسمه، ومع ذلك يدعوهم الناس، ويدعون أنفسهم شيعة.

وفي الاعتراف من عالم شيعي بأن اسم الشيعة أطلق في الماضي

(١) الائمة في نظر الامامية أثنا عشر اماما، هم:علي أمير المؤمنين. والحسن. والحسين. وزين العابدين. ومحمد الباقر. وابنه جعفر الصادق (امام المذهب). وموسى بن جعفر. وعلي بن موسى الرضي. ومحمد التقي. وعلي النقي. والحسن العسكري. رضي الله عنهم وأرضاهم وهؤلاء الأحد عشر انتقلوا إلى جوار ربهم. والامام الثاني عشر، هو الامام الغائب الذي ينتظر الشيعة عودته، وهو المهدي المنتظر عندهم. وعلماؤهم نواب عنه في غيبته.(*)

(*) عقيدة الانتظار، لظهور المهدي الموعود، في آخر الزمان، لاتختص بالشيعة بل تعتقد بها اهل السنة حتى الوهابيين ـ انظر كتاب: «عقيدة اهل السنة والأثر في المهدي المنتظر» للشيخ عبدالمحسن العباد، مساعد رئيس الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، مطابع الرشيد ـ المدينة المنورة، سنة ١٤٠٢ هـ (خسروشاهي)

ويطلق في الحاضر، توسعا، على بعض غلاة المسلمين، وأيضا على بعض الملاحدة الكافرين، ما يجعل الرأي العام المسلم معذورا في أن لا يفسح صدره لكل ما يقال عن الشيعة وباسم الشيعة. نعم ان هذا الاسم الذي ينطوي تحته باعتراف الشيح آل كاشف الغطاء نفسه. غال مسرف على نفسه وعلى دينه كالاسماعيلية، وكافر ملحد خارج عن حدود الإسلام كلية كالخطابية. ليس من السهل على المسلم المحافظ على دينه أن تستريح نفسه، وينشرح صدره لكل ما ينسب إليه.

حقيقة ان واجب المسلم أن يميز:

بين الشيعة الذين لا يختلفون مع أهل السنة، الا في شيء من الفروع كالقول بجواز نكاح المتعة، أو في شيء من الاعتقاد الذي لا يتصل بالأصول، مثل القول بالرجعة، أو القول بالتنصيص على الأئمة، واعتقاد أنهم معصومون من الخطأ والخطيئة.

وبين الشيعة؟! القائلين بالحلول، كطائفة من الاسماعيلية. وبين الملاحدة والكفار مثل الخطابية.

نعم.. ان واجب المسلم أن يميز بين هذه الطوائف الثلاث، ويعرف لكل منها مكانتها ومنزلتها.

غير انه أن استطاع أن يفعل هذا دارس متخصص، فلن يستطيع أن يفعله السواد الأعظم من الناس. لهذا نرى أن واجب المعتدلين من الشيعة: نحو أنفسهم أولا. ونحو الحقيقة ثانيا:

أن يعلنوا عن عقائدهم، ويظهروها في ثوبها السمح النقي، وأن

يفرقوا تفرقة واضحة بين أقوالهم، وبين أقوال الغلاة، وأقـوال الملاحـدة، فانه عند ذاك ـ وعند ذاك فقط ـ يتضح للناس الكيان الصحيح لكـل طائفة. ولا شك انه بقدر ما تضيق دائرة الخلاف بين القارئ السني وبين الشيعي، بقدر ما تلتقي القلوب، وتتقارب المشارب والميول، وعنـد ذاك سوف ينظر كل واحد إلى أخيه نظرة شبيهة بتلك التي كان ينظرها سلفنا الصالح بعضهم لبعض. رغم ما كان بينهم من خلاف في الرأي.

روى الطبري أن عمر بن الخطـاب (رض) ـ وهـو خليفـة ـ لقـى رجلا له قضية، فسـأله: ماذا صنعت؟ فقال: قضى علي وزيد بكذا. قـال عمر: لو كنت أنا لقضيت بكذا. قال الرجل: فما يمنعـك والأمـر إليـك؟ فأجابه عمر: لو كنت أردك إلى كتاب الله، أو إلى سنة رسوله، لفعلـت، ولكن أردك إلى رأي، والرأي مشترك[(١)].

وفي هذه الحادثة ما يدل على أن الوقوف عند نصوص كتـاب الله، وعند نصوص السنة النبوية الصحيحة أمر لا يصح لأحد الخروج عليه. أما الحادثة أو الحادثات التي لاتظفر بنص من هذه النصوص يقضي فيها بحكم صريح، فإنه لا محيص من اعمال الرأي فيها، وفي هذه المرحلة من مراحل الرأي والاجتهاد والاستنباط، نجد عمـر بـن الخطـاب(رض) ـ وهو خليفة المسلمين ـ يفسح لرأي غـيره المجـال، ضـاربا بـذلك أروع

(١) انظر كتاب «دولة القرآن»، تأليف الأستاذ طه عبد الباقي سرور ص ٢٠١ القاهرة.

الأمثال، في تقرير حرية الرأي في المسائل التي لا نص فيها، بشرط أن لا ينحرف أحد هذه الآراء، انحرافا يؤدي إلى مصادمة شيء من الأصول العامة للدين، أو المقررات الثابتة فيه.

نعم، ان عمر، يضرب بذلك أروع الأمثال، حيث كان وهو خليفة يملك من السلطة ما يستطيع به أن يفرض رأيه، ولكنه مع ذلك أمضى رأي علي وزيد، وليس هذا فحسب، بل قد قررها قاعدة عامة «انه الرأي، والرأي مشترك».

ففي ضوء ما سار عليه هذا السلف الصالح من نبذ الجمود والتعصب ظهريا، ونشدان الحقيقة، وافساح المجال للغير يرى رأيه أيضا، ينبغي أن نسير نحن الآن، وذلك لا يكون عسيرا بين فرقتين. أو فرق، ليست واحدة منهما مغالية، ولا مسرفة متطرفة.

اهل السنة وكتب الشيعة

وجوب رجوع أهل السنة إلى كتب الشيعة بدل الأخذ بالشائعات:

واني إذ أقترح ضرورة قيام الشيعة المعتدلين أنفسهم بالتعريف بمبادئهم، والتعريف بغيرهم ممن يشتركون معهم في الاسم ويخالفونهم مخالفات جوهرية تبلغ حد الاسراف أو الغلو، فإنما أدعوهم إلى شيء:

فيه الخير لهم أولا وفيه الخير لغيرهم ثانيا. وفيه خدمة للحقيقة ثالثا.

فيه الخير لهم، لأنهم إذا أعطوا الناس فرصة الوقوف على حقيقة أمرهم، وصوروا لهم تصويرا دقيقا ما يختلفون فيه مع غيرهم، أمكن للناس، من غير الشيعة، أن يدركوا الوضع الصحيح لمدلولات هذا الاسم الذي يقع بين ما يقع على غلاة مسرفين، وأمكن لهم أن يدركوا أن هذا الاسم يتناول فرقا مختلفة تتباين فيما بينها تباينا كبيرا، حتى انه يصبح من الخطأ أن يستعمل هذا الاسم للدلالة على فرقة بذاتها، دون أن يقترن بما يجعله يعني ما أريد به فقط، كأن يقال الشيعة الامامية، أو الشيعة الزيدية، أو الشيعة الاغاخانية مثلا.

وفي الحق، أن شيوع كلمة الشيعة ووقوعها على مجموعات من الناس والأفكار تختلف فيما بينها اختلافا يقل أحيانا حتى يكاد يتلاشى، ويعظم أحيانا حتى يجعل من كل نقيضا للآخر، ربما كان سببا لزلة قدم كثير من الباحثين. إذ قد يجد الباحث الفكرة مضافة إلى الشيعة فيكتفي هو أيضا بأن ينسبها إلى الشيعة ويتركها حائرة لا تدري إلى من ترجع، وإلى من تنتسب؟ وكما كان شيوع كلمة الشيعة سببا لزلة قدم الباحث، هو أيضا سبب للابهام على القارئ إذ قد يفهم أن الشيعة كلهم دون استثناء يقولون بالفكرة، وهي في الواقع رأي خاص لجماعة منهم.

وفيه الخير لغيرهم، لأنه بوساطة ابراز معالم حقيقة كل فرقة، يزول اللبس والابهام، ويتضح لغير الشيعة موقفهم من طوائف الشيعة، فيعرفون متى وكيف يختلفون مع كل طائفة على حدة، ومتى وكيف يتفقون معها، وفي ضوء هذه المعرفة يزول ما يحدث عادة من عداوة بعض الطوائف لبعض، لخلافات وهمية ليس لها من واقع الأمر نصيب. وفي ضوء هذه المعرفة أيضا يمكن معالجة أسباب الخلاف بإزالته ان أمكن، أو حصره في أضيق نطاق.

وفيه خدمة للحقيقة، لأنه لا يسيء إلى الحقيقة شيء مثل الغموض واللبس والابهام.

واجب الشيعة وأهل السنة إزاء المتطرفين

ومن فوائد هذا البيان الذي نرجو أن يقوم به المعتدلون من الشيعة، اقترابهم من أهل السنة، واقتراب أهل السنة منهم، لأننا إذا تركنا الغلاة جانبا، واتجهنا إلى المعتدلين، فلن نجد فيما يخالفون فيه أهل السنة من القول بالإمامة، والقول بعصمة الأئمة، والقول بالعدل ونحوه، ما يجعل الخلاف مستفحلا، نعم ان الخلاف في هذه المسائل خلاف حقيقي، ولكنه غير خطير، ولا يصلح أن يكون سببا لشحناء أو بغضاء.

وينبغي أن يتكون من أهل السنة، ومن المعتدلين من الشيعة، كتلة واحدة، متعاضدة، متماسكة، تقف صفا واحدا ضد أولئك الخارجين الغالين المتطرفين المتخذين من التسنن أو التشيع ستارا، يحتمون فيه ليقولوا في الإسلام ما تزين لهم أهواؤهم، وما تسول لهم غاياتهم.

ولعله غير خفي على المعتدلين المنصفين من الشيعة أن أهل السنة

يكنون لعلي وآل البيت جملة، رضي الله عنهم أجمعين، كل حب وتقدير واكبار، وإذا كانوا لا يرون القول بعصمة الأئمة، فإنهم لا يقصدون من وراء ذلك، التحيف من أقدارهم، ولا أن يبخسوهم حقوقهم، وانما جاء ذلك منهم نتيجة لما صح لديهم من أن الأنبياء ـ مع عصمتهم فيما يتصل بتبليغ الرسالة ـ يجوز عليهم الخطأ، استناداً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «انما أنا بشر مثلكم، وانكم تحتكمون إلى، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضي له، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»، ولقوله تعالى: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً».

وفضلا عما لهذه الأدلة في نظر أهل السنة من قيمة، فقد حرصوا أيضا على أن يباعدوا بين الناس وبين الاسراف في تقديس الأنبياء خشية أن يتمادي بهم الاسراف في التقديس إلى أن يتورطوا فيما تورط فيه الناس من قبلهم ـ فيما حكى عنهم ـ إذ قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

ومن أجل هذا، فيما يرون، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حريصا على أن يؤكد في نفوس أصحابه أنه بشر مثلهم، فكان يقول عن نفسه: «انما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد»! وذلك لأن

العناية الربانية التي تشمل الأنبياء ساعة جهرهم بالدعوة، من اظهار المعجزات الخارقة، والأحداث الفائقة، التي تخالف مألوف الناس وعاداتهم، مثل احياء الموتى، وقلب العصا ثعبانا، من شأنها أن تأخذ الألباب، وتبهر العقول، فتقع تحت تأثير تخيلات ومبالغات تمليها الدهشة، ويوحي بها شديد الانفعال.

وكلنا قد سمع عن دهشة عمر بن الخطاب وذهوله حين أخبروه بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تلك الدهشة التي جعلته يستنكر خبر وفاة رسول الله ويشهر سيفه بين الجماعة قائلا: «من قال ان محمدا قد مات علوت عنقه بسيفي هذا»! وكاد الناس يقعون تحت تأثير ما وقع فيه عمر من استبعاد أن يكون محمد الرسول خاضع للسنن العامة التي تخضع لها الجماعة البشرية من موت ونحوه، لولا أن نهض أبو بكر الصديق واقفا بين الحشد الجامع قارئا قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا ﴾ فأفاق عمر من ذهوله ودهشته وقال: والله لكأني ما سمعت هذه الآية من قبل.

من هذه الحادثة يتبين مبلغ الاكبار والاعظام اللذين تكنهما النفوس للأنبياء، خاصة نفوس من عاشروا الأنبياء وشاهدوا ما أجرى الله على أيديهم من خرق لسنن الكون وأنظمته. فإذا لم يوضع لهذا الاكبار وذلك الاعظام معالم وحدود يقفان بهما عند الحد اللائق بهما، وقع الناس في

مبالغات وتورطات لا يعلم عاقبتها الا الله. ولهذا فقد حرص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، على أن يؤكد معنى بشريته في نفوس أصحابه حتى لا يتورطوا فيما تورط فيه من قبلهم.

ولقد كان أهل السنة حريصين على أن يفصلوا بين مقامين، مقام الألوهية، ومقام البشرية، حتى ان عدوا للاسلام مهما بلغ به الحذق والدهاء لن يستطيع باسمهم أن يخلط بين المقامين.(١)

ثم ان منصفا، أيا كانت نحلته، لا يظن به أن يسمح لنفسه أن يمنع الشيعة من استعمال حقهم في حرية الرأي، وأن يقرروا في ضوء هذه الحرية حق الامام علي وذريته في الخلافة، وعصمتهم من الخطأ والخطيئة، وافضاء الرسول لعلي، وافضاء علي لمن بعده، بعلوم يحتاج إليها الناس في تشريعاتهم.

---

(١). مما يجب أن ننبه عليه في هذا المقام: أنّ علماء الشيعة لم يقتصروا على رفض الغلاة، ولعنهم، والتبرّؤ منهم ـ لا فرق بين عبدالله بن سبأ على فرض وجوده وبين الآخرين ـ بل قالوا في جميع كتبهم الكلامية والفقهية بنجاسة هؤلاء، وخروجهم من الدين. فها هو ذا الشيخ المفيد (٤١٣ هـ) وهو من أكابر علماء الشيعة يقول في كتابه القيم «تصحيح الاعتقاد» تحت عنوان: الغلو: «الغلاة من المتظاهرين بالإسلام، هم الذين نسبوا اميرالمؤمنين والائمة من ذريته عليهم السلام الى الالوهية والنبوة، ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا الى ماتجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضلاّل كفّار. حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل.. وقضت الائمة عليهم السلام عليهم بالإكفار والخروج عن الاسلام» أنظر: شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٦٣ ط ـ تبريز، ١٣١٧ هـ وعن كفر الغلاة وارتدادهم يمكن مراجعة (مصباح الفقيه) كتاب الطهارة، للفقيه الهمداني: ٥٦٨؛ وكتاب العروة الوثقى للسيد اليزدي: ١٩، ط ـ قم؛ ومستمسك العروة للسيد محسن الحكيم ١: ٣٢٥ ط ـ النجف، وجميع الكتب الشيعية الفقهية المعتبرة، بنظر على الاخص في بحث النجاسات] (خسروشاهي)

نعم، ان للشيعة الحق في أن يقرروا من ذلك ما يشاؤون ما دام لديهم من المبررات ما يكفل قيام مثل هذه الآراء، نظير ما لغيرهم من حق في انكار هذه الآراء، بناء على ما صح لديهم من مبررات اقتضت انكارها.

نعم، ان حق الطرفين يجب أن يكون مكفولا مصونا، لأن مسألة الامامة وعصمة الأئمة تدخل في نطاق ما قال فيه عمر بن الخطاب: «انه الرأي، والرأي مشترك»، ولأنها من ناحية أخرى مسائل لا تمس جوهر العقيدة، ولكنها تقع من العقيدة على الهامش، وربما أمكن أن يقال ان العقيدة في ذاتها لا ترى لأحد الرأيين ميزة على الآخر الاما يقوله أهل السنة من أنه إذا كان الله قد قال في آدم أبي البشر ورسوله الأول اليهم: «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى». وحكى نداء نوح عليه الصلاة والسلام وبه قائلا: «رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ».

ثم حكى عزوجل رده على نوح بقوله: «يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ».

وقال لخاتم رسله مرة: «مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

وقال له أخرى: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ».

يقول أهل السنة: إذا كان الله قد قال لرسله ذلك، فإنه يستبعد أن يكون من دونهم في الفضل والمكانة حائزا لما لم يحوزوه.

وفضلا عن ذلك، فهم يقولون: ان ذهاب الشيعة إلى القول بعصمة الأئمة من الخطأ والخطيئة، واثباتهم لهم ألوانا من القداسة قد استغلها الغلاة والمغرضون، وأساءوا استعمالها، واتخذوا من هذا القدر المحدود من القداسة الذي أثبته المعتدلون من الشيعة لأئمتهم، ذريعة لاضفاء ألوان من القداسة تتجاوز حدود البشرية، ومن هنا كانت المغالاة وكان الاسراف، وكان القول بالحلول والالوهية!

ومما يثبت أن أصحاب هذه الآراء التي لا يقرها الإسلام، ولا يقر أن يكون قائلوها داخلين في حظيرته. قد اتخذوا لآرائهم سندا من احترام الشيعة لأئمتهم. ان واحد من أصحاب هذه الآراء لم يدع نسبة نفسه يوما إلى أهل السنة. وانما لجأ هؤلاء الغالون على اختلاف درجاتهم في الغلو، إلى اسم الشيعة يتسترون به، وهذه حقيقة لا يخالف فيها الشي عة أنفسهم، فقد مر بنا نص الشيخ آل كاشف الغطاء بما ينطوي عليه من أن اسم الشيعة يجري على بعض الخارجين عن الإسلام.

الغلاة والملاحدة واسم الشيعة

والسر في لجوء هذه الفرق الخارجة عن الإسلام إلى اسم الشيعة، تتستر به دون اسم أهل السنة مثلا واضح، هو أن للشيعة في الامام علي وذريته رأياً خاصا، ولاهل السنة فيهم رأيا غيره، وان الغلو في علي وذريته لا يمكن أن يقوم على أساس من رأي أهل السنة فيهم، لهذا كان من الضروري لجوؤهم إلى حمى الشيعة، وهذا مما يضاعف مسؤولية الشيعة، ويجعلهم مكلفين أكثر من غيرهم بإقامة حدود واضحة المعالم بينهم وبين من يغالون ويسرفون في حق علي وذريته. (١)

---

(١). ... إنّ عقائد الغلوّ والإفراط بحقّ الائمة هو مما لا يختص بجهال ينتسبون إلى الشيعة وحدهم، بل هو يشمل أهل السنّة ايضا، اذ يظهر من هؤلاء من الغلوّ في كبار رجالهم مالايقلّ عن الغلوّ الذي يتداعى به الجهّال ممّن ينتسب إلى الشيعة. وفي هذاالسياق نقل العلاّمة الاميني في موسوعته القيمة التاريخية «الغدير»، مائة قصة من قصص الغلو عن اهل السنة، نُسجت حول اشخاص من امثال معاوية! وقد اعتمد العلامة الأميني في النقل على كتب ومصادر معتبرة من تأليف اخواننا من أهل السنة. (الغدير، ج ١١، ص ١٠٢ ـ ١٩٢. ط ـ بيروت). والذي يراجع هذه النقولات يتبين له على نحو واضح ان مسألة الغلو هي مما لا يختص بمن ينتسب الى الشيعة

←

ان مذهب التشيع أشبه بثغر في المملكة الإسلامية،[1] هو أشد بقاع المملكة الإسلامية كلها قربا من بلاد العدو، وهو ـ لهذا السبب ـ المنفذ الذي يحاول أعداء الإسلام الدخول منه إلى بلاد الإسلام لغزوها، فواجب حامية هذا الثغر أشد من واجبات غيرهم ممن يوجدون في أماكن نائية عن العدو، فان لم تكن حامية هذا الثغر يقظة منتبهة، اقتحم العدو الثغر، واقتحم قلب المملكة الإسلامية عن طريقه..

وانه لا شيء أحب إلى النصارى من أن تقول نحن في الامام علي ما قالوا هم في عيسى، وكيف يصح لنا أن نغض الطرف عن أقوال تصور الامام بنفس الصورة التي صور بها النصارى عيسى.

والقرآن فيه الكثير من النعي عليهم بسبب هذا التصوير، وكيف لا

وحدهم، بل يوجد في المذاهب الاسلامية الاخرى، وقد نأينا عن الدخول في التفاصيل رغبة في الاختصار، وعدم التطرق الى امور خلافية لافائدة في نشرها، خاصة ونحن من اصحاب الدعوة الى الوحدة والتقريب بين المذاهب الاسلامية. (خسروشاهي)

(١). ... والثغر في «المملكة الإسلامية» لا يختص بالتشيع فقط، بل ان هناك ثغرات كثيرة اخرى عند اخواننا اهل السنة توجب اليقظة.. ولا اريد التفصيل في الموضوع وتكفي الاشارة بما تحدث باسم السلفيين، او الوهابيين، او القاعدة! وامثالهم، في العالم الاسلامي، وخاصة: السعودية، العراق، افغانستان وباكستان وغيرها والتي سببّت لدخول اعداء الاسلام ـ من الصليبين والصهاينة ـ الى بلادنا وغزوها .. وكلنا نرى يوميا بما يقومون بها من الجرائم البشعة اللاانسانية ضد الابرياء من المسلمين في هذه البلاد.. ونرى ايضا الآثار السلبية التي تحدث من اعمال اجرامية تحت شعار: السلفية!.. ولاشك أن السلف الصالح (رضي الله عنهم) بريئون من هؤلاء الغلاة المتطرفين الجدد! (خسروشاهي)

تهاجم قولا في حق الامام، هاجم الامام نفسه مثله في حق عيسى؟ وهل يحق لمن لا يفعل ذلك أن يزعم انه مؤمن بالقرآن حق الإيمان؟

ويبدو أن ما يفزع منه أهل السنة من هذه الآراء، ويعدونه خروجا على الإسلام، هو أيضا مثار فزع ورعب لكل مسلم فاهم للاسلام على وجهه الصحيح، حريص على حفظه وصيانته ومن دواعي السرور والغبطة أن تكون حقائق الإسلام وأصوله واضحة لا يحتمل الخلاف، جلية لا ينال منها الخفاء.

وها هم أولاء أئمة الشيعة أنفسهم رضي الله عنهم يضربون على نفس الوتر، ويسجلون في قوة لا يشوبها تردد، وفي صراحة لا يخالطها لبس ولا غموض، أن للاسلام معالم وحدودا، من بقي في محيطها ظل فيه، ومن تعداها خرج منه.

ويصرحون أيضا أن الجهلة بالاسلام والأعداء له على السواء، سيتخذون منهم تكأة يعتمدون عليها فيما يقررون من آراء، وما يذيعون من أفكار.

يعلن هؤلاء الأئمة براءتهم من كل هؤلاء، وسخطهم عليهم.

فيروى عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قوله: «اياكم والغلو فينا قولوا: انا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم».

وقوله: «اللهم اني بريء من الغلاوة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبدا ولا تنصر منهم أحدا».

ويروي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال: «ان اليهود أحبوا عزيراً حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزير منهم ولا هم من عزير، وان النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وانا على سنة من ذلك، ان قوما من شيعتنا سيحبوننا حتى يقولوا ما قالت اليهود في عزير وما قالت النصارى في عيسى بن مريم، فلا هم منا ولا نحن منهم».

ويروى عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم، أنه قال: «أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غال فيستمع إلى حديثه ويصدقه على قوله، ان أبي حدثني عن أبيه عن جده عليهم السلام أن رسول الله قال: «صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام الغلاة والقدرية».

وغير هذه النصوص كثير، يطول بنا القول لو تتبعناها، ومن مجموعها يتضح أن الأئمة من آل البيت رضوان الله عليهم، كانوا أحرص الناس على أن ينفوا عن الدين كل دخيل عليه. وكانوا على علم بأن الناس سيتخذون من التظاهر بحبهم سبيلا إلى المبالغة والغلو اللذين يشوهان عقائد الإسلام. وهذا موقف يسجله لهم التاريخ مصحوبا بكل تجلة واحترام.

ولا نشك في أن الشيعة الاثنا عشرية والزيدية، يقدرون أقوال أئمتهم هذه كل تقدير، ويحرصون على اتباعها والوقوف عندها، ولا شك أن هذه الأقوال تملي على كل مؤمن بها ضرورة النكير على الغلاة والمسرفين.

وانا لكبيرو الرجاء في أن يحيي الشيعة المعتدلون، الكتب التي تـضم أمثال هذه النصوص ويذيعوها بين الناس، ويمكنوهم من الوقوف علـى ما جاء فيها مما يثلج الصدور، ويشرح النفوس، وكبيروا الرجاء أيضا في أن يقوم اخواننا من الشيعة بنهضة علمية تبنى على تأليف الكتب وكتابة المقالات التي تنحو هذا المنحى الذي أوضح سبيله الأئمة من آل البيـت رضوان الله عليهم، يوضحون بها منهجهم، ويرسمون بها طريق الخارجين عليهم، ليعـرف النـاس هـؤلاء الخـارجين، ويعرفـوا مقـدار انحـرافهم وخروجهم.

والاثنا عشرية والزيدية ان يفعلوا ذلك، يناصرهم اخوانهم من أهل السنة، ويقفوا معهم صفا واحدا ليتكون من جميعهم كتلـة واحـدة قويـة تقف صفا واحدا كالبنيان المرصوص، تذود عن حمى الدين، وتخلصه من الغواشي التي ألحقه بها المغرضون، ولن يحول دون التقاء المعتـدلين مـن الشيعة مع أهل السنة، على هذا الغرض، ما يكون بينهم مـن اخـتلاف حول مسألة كالامامة، بعد ما عرفنا أن الامام غائب، وانه في حال غيبته لا مناص من اتفاق الشيعة مع أهل السنة، على الاكتفاء بما في الكتـاب والسنة الصحيحة.

ولا حول مسألة كعصمة الأئمة، فان الشيعة الذين يقولون بـذلك لا يقـصدون بعـصمة الأئمـة الا أن تكـون نموذجـا مـصغرا ممـا يثبتونـه

للأنبياء.[١] ومادام هذا النوع من العصمة المقول بـه في حـق الأنبيـاء لم يخرج بهم عن حدود البشرية، فأولى أن لا يخرج بالأئمة عن بـشريتهم ما ينسبه لهم الشيعة من عصمة هي نموذج مـصغر لمـا يثبـت للأنبيـاء، وسواء صح دليل هذه العصمة أم لم يصح، فـلا ينبغـي اطالـة الخـلاف حولها.

أولا ـ لأنه لا يحصل من وراء ادعـاء ثبوتهـا للأئمـة خطـر علـى العقيدة فلا ضرر يلحق عقيدة انسان من جراء اعتقاده بأن شخصا مـن الناس قد صانه الله من أن يخطئ في آرائه الدينية، ومن أن يقـع في الاثم أو يتورط في معصية، لأنه ما دامت هذه الصيانة منحـة مـن الله القـادر على سلبها، فلن تخرج بالمرء عن حدود بشريته.

ثانيـا ـ لأنه لا يوجد الآن أئمة، فالعصمة المـدعاة في نظـر الـشيعة المعتدلين، هي لمن مضى من الأئمة، ولا يترتب على اثباتهـا لهـم آثـار عملية.

---

(١) الشيعة تعتقد بعصمة الائمة الاثنا عشر ويقوم هذا الاعتقاد على ادلة كثيرة من الكتاب والـسنة وعلى رأسها قوله تعالى في سورة الاحزاب (الآية ٣٣): «انما يريد الله ليـذهب عـنكم الـرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا». وقول الرسول (ص): «ايها الناس، فانما أنا بشر يوشك ان يـأتي رسول ربي فاجيب، واني تارك فيكم ثقلين، اولهما كتاب الله فيه الهدي والنـور فخـذوا بكتـاب الله واستمسكوا به.. واهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي، اذكركم الله في اهـل بـيتي، اذكـركم الله في اهل بيتي ـ ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا ـ (راجع صحيح مسلم ج ٤ من كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن ابيطالب). فطالما ان المعتقد يدور في دائرة النص، فلا يجـوز اثـارة الشبهات من حوله.. فلنتحد فيما نتفق، وليعذر بعضنا البعض، فيما نختلف. كما يقولـه الامـام الشهيد، الشيخ حسن البناء، رحمه الله. (خسروشاهي)

ثم ان أهل السنة إذا كان من رأيهم عدم القول بعصمة الأئمة، فانهم مع هذا يحملون للأئمة حبا يجري في دمائهم، ويتمكن من سويداء قلوبهم، فإن لهؤلاء الأئمة من الصلاح وحسن السيرة إلى جانب انتمائهم إلى الدوحة الشريفة الطاهرة، ما يجعل أهل السنة، يكنون لهم كل حب واجلال واكبار.

ولا حول مسألة كنكاح المتعة، تلك التي تدل الأحاديث الموجودة في صحيحي البخاري ومسلم وفي تفاسير القرطبي والفخر الرازي على ان أمرها يحتمل الخلاف، وهي فوق ذلك مسألة فقهية اختلفت في نظائرها مذاهب السنة فيما بينها، فلا معنى لأن يثير الخلاف فيها بين الشيعة وأهل السنة، خصومة أو حقدا.

وهكذا يستطيع المنصف أن يخرج جميع المسائل التي يختلف فيها الشيعة مع أهل السنة، تخريجا سمحاً، ولهذا يصح ما قررناه سابقاً من أن ما يقوم بين الشيعة وبين أهل السنة من خلاف في الرأي، لن يستطيع أن يحول دون فهم كل واحد منهم للآخر فهما صحيحا ودون وقوفهم صفا واحدا متعاونا متساندا ضد الغلاة والملاحدة ـ والمتطرفين من الفريقين ـ

وكما كان الأئمة من آل البيت، رضي الله عنهم وأرضاهم، متنبهين جد التنبه إلى الخطر الذي يحيق بالاسلام من جراء السماح لهذه الأقوال المتطرفة أن تأخذ سبيلها إلى نفوس المسلمين عن غفلة منهم بها، فينبغي

أن يكون المسلمون اليوم وخاصة أتباع هؤلاء الأئمة في مثل حذرهم وتنبههم، وليتركوا الخلاف الذي يبددهم فرقا وأحزابا، بسبب أمور لا تستأهل شيئا من هذا الخلاف، وليضموا جهودهم بعضها لبعض ليقاوموا الخطر المشترك، خطر الغلاة والمتطرفين الذين يكرههم أهل السنة بحق، ويرون فيهم خطرا داهماً على دينهم ومجتمعهم معا، ويكرههم كذلك الأئمة من أهل البيت رضي الله عنهم، والشيعة كذلك، تبعا لأئمتهم، فهؤلاء أحق بأن تتجمع الجهود لدفع خطرهم، وصد ضررهم. وفي هذا المقام لا يسعنا الا أن نعترف عا لجماعة التقريب من جهد مشكور في هذا المقام، فلقد مكن سماحة الشيخ محمد التقي القمي للناس، الوقوف على كثير من النقط التي كانت غامضة، بمقالاته الخصبة الممتعة الرشيدة، وبأحاديثه العذبة النيرة، وبمكتبته التي مكنت لكثيرين من معرفة أمور ما كان يمكن الوقوف عليها من كتب أهل السنة وحدها، ولست أشك في أن الجالس معه والمستمع لأحاديثه يبهره ما فيها من حرية رأي، تجعله لا يدري أهو شيعي، أم سني؟ أم هو شيعي وسني معا؟ ومن اخلاص يملك عليه لبه وقلبه ومشاعره، اخلاص يجعله يفنى في رسالته التي تتركز في ازالة الغاشي التي رانت على القلوب والعقول، فحجبتها عن الحق، وعن الصراط المستقيم.

انه يريد بالتقريب، أن يعيش المسلم اليوم مع أخيه المسلم، مثلما

كان يعيش الشافعي مع مالك، رغم اختلافهما في الرأي، ومثلما كان يعيش الصحابي مع الصحابي، مع اختلافه معه في كثير من الآراء.

والسيد القمي مقتنع كل الاقتناع بضرورة تكاتف المعتدلين من الشيعة مع أهل السنة ضد الغلاة والمتطرفين.

والأمر الذي لا سبيل إلى انكاره أو تجاهله، هو جهود وزارة الأوقاف المصرية المشكورة، في هذه السبيل، إذ تمد جماعة التقريب بما يلزمها من عون أدبي، ويرجع ذلك إلى تقدير وزارة الأوقاف المصرية لمهمتها الدينية التي تقتضيها أن تقوم بنشاط واسع في المحيط الديني.

واعود إلى الشيخ آل كاشف الغطاء مرة أخرى، حيث أجدني مضطرا إلى أن أخالفه فيما ذهب إليه من قوله، وهو يناقش الكاتب الذي هاجم الشيعة:

«انه إن أراد بالشيعة تلك الفرق البائدة، والمذاهب الملحدة التي لا أحسب أن على رقعة الأرض منهم اليوم نافخ ضرم، فنحن لا نضايقه في ذلك، ولكن نسبتهم إلى الشيعة ظلم فاحش وخطأ واضح».

أراني مضطرا إلى عدم الموافقة على القول بأن الغلاة من الشيعة أو المنتسبين خطأ إلى الشيعة على حد تعبير الشيخ آل كاشف الغطاء، ليس

على رقعة الأرض منهم اليوم نافخ ضرم، والا فما يكون الأغاخانية؟[١] أليسوا قائلين بالحلول؟ أم ليسوا مع قولهم بالحلول ملاحدة؟ أم ليسوا منتسبين إلى الشيعة؟ انهم بما لهم من نشاط في أوربا وأمريكا. يعتبرون المظهر الذي يتعرف منه السواد الأعظم من أهل هاتيك القارتين الأسلام، ويحسبون أن المسلمين كلهم على مثل هذه الصورة من الاعتقاد والرأي ثم أليسوا على رقعة الأرض اليوم؟

فإذن يوجد الآن شيعة غلاة متطرفون يجنون بغلوهم وتطرفهم على الشيعة أولا وعلى المسلمين عامة ثانيا، فواجب هؤلاء وهؤلاء أن ينبهوا الرأي العام إلى حقيقة أمرهم، وأن يعلنوا براءتهم منهم، وأن يكشفوا عن خداعهم وتدليسهم.

وإذا كان الشيخ آل كاشف الغطاء يرى أن نسبة الغلاة إلى الشيعة ظلم فاحش، وخطأ واضح، فعلى علماء الشيعة أكثر من غيرهم أن يقوموا بتصحيح هذا الخطأ ورفع هذا الظلم، ولا وسيلة لكل ذلك الا أن يخلصوا عقائدهم مما يحاول الغير أن يخلطه بها. بأن يقيموا حدودا واضحة بين مبادئهم وبين مبادئ الغالين المتطرفين، وبأن يتخذوا من اخوانهم أهل السنة الذين لا يختلفون معهم في شيء ذي بال، عونا لهم على مقاومة هؤلاء الغلاة المتطرفين.

---

(١) حتى الشيعة الاسماعيلية، في الغالب يتبرؤون من هؤلاء ويعتبرونهم خارجين عن الاسلام... نرجو من الله ان يهديهم سواء السبيل، فانه على كل شيء لقدير... (خسروشاهي).

وقد قلنا سابقا: ان حرص الشيعة على أن لا يختلط بآرائهم آراء متطرفة أو هدامة، فيه خير كثير لهم وللاسلام وللمسلمين.

فيه خير لهم، لأنه ينقي دعوتهم من الأوشاب والأخلاط التي تذهب من بهائها وروعتها وجمالها. وفيه خير للاسلام، لأن المذاهب المختلفة ليست الا مجالي ومرائي تبدو فيها صورة الإسلام، ويراه الغير فيها، وعن طريقها. فالاسلام ليس هو مذهب أهل السنة وحده. وليس هو مذهب الشيعة وحده. ولكنه كل هذه المذاهب وغيرها، مادامت بعيدة عن التطرف والغلو، ومادامت مرتكزة على أصول مستمدة منه.

وإذن فأية اساءة لمذهب من هذه المذاهب ـ بتشويه أو تحريف ـ هي اساءة للاسلام نفسه، لأن صورته ستبدو في هذا المذهب مشوهة بقدر ما في هذا المذهب من تشويه، محرفة بقدر ما في هذا المذهب من تحريف.

ان أصحاب كل مذهب يدعون أن مذهبهم هو الصورة الصحيحة للاسلام، أو على الأقل، أحدى صوره الصحيحة، وإذن فاهمالهم في حق مذهبهم ـ باتاحة الفرصة لآخرين يلصقون به ما ليس منه ـ اهمال في حق الإسلام نفسه، ومسؤوليتهم عن مذهبهم هي نفس مسؤوليتهم عن الإسلام.

وفيه خير أيضا للمسلمين لأن حرص كل فريق على أن يصون

مذهبه من الأوشاب والأخلاط والغريب الدخيل، عامل من قريب أو من بعيد على تقارب وجهات النظر، وتقارب وجهات النظر توحيد، والتوحيد قوة وقوة المسلمين هي مناط سعادتهم وعزتهم.

أما عدم صيانة المذاهب من الغريب الدخيل، فهو عامل من عوامل تباعد وجهات النظر، وتباعد وجهات النظر فرقة تتيح للدخيل أن يذكي أوارها ويشعل نارها ثم يقوي هو على حساب ضعفنا، ويسعد على حساب شقوتنا.

ويجب أن يلاحظ المسلمون أن خصوم الإسلام بدأوا في العصور الحديثة، يحاربون الإسلام بسلاح آخر غير سلاح الاستعمار، أو بنوع جديد من أنواع الاستعمار يسمونه العلم، ـ والثقافة! ـ فهم يتدخلون بين الطوائف الاسلامية باسم العلم ليثيروا بينهم خلافات، ويؤججوا حزازات، وينبهوا إلى عصبيات، ويريدون بهذا أن ينبشوا الماضي ويؤججوا الفتن ويمزقوا الوحدة الإسلامية تمزيقا، فيجعلوا من الدين الواحد مذاهب متناحرة، ومن اللغة الواحدة لغات متخالفة، ومن الوطن الواحد أوطانا متفرقة.

وتفادي خطورة هذا النشاط العدائي ضد الإسلام والمسلمين يكون بأمرين مجتمعين:

أحدهما ـ تخليص المذاهب الإسلامية من الدخيل الذي من شأنه أن يفسد هذه المذاهب ويشوهها.

وثانيهما ـ اليقظة لما يبذره أعداء الإسلام من بذور الفرقة والشقاق بين المسلمين باسم البحوث العلمية واحياء الكتب القديمة. وما إلى ذلك من أسماء خداعة براقة من ورائها السم الزعاف.

ولقد لاحظت وأنا في انجلترا، أن الانجليز في بلادهم، يستحوذون على الطائفة المسماة بالأحمدية[1] ويمدونهم بالمال والجاه، ويرقبون نشاطهم ويوجهونهم توجيها خاصا، يراد منه اثارة الفرقة والشقاق بين المسلمين، وتشكيكهم في أصول معتقداتهم.

ولقد كانت جواسيسهم وأعينهم تنبث بين المسلمين النازلين في انجلترا وتعقد بينهم صدامات، بعد أن تتظاهر لهم بالاسلام، لتتعرف على ألوان نشاطهم ونواياهم وآمالهم، وتحملهم حملا على أن يحضروا مجالس العلم التي يعقدها الأحمدية هناك كشباك يتصيدون بها المسلمين الخلص الذين تكشف أفكارهم ـ التي تبدو أثناء نقاشهم ـ عن اخلاصهم، وصدق عزيمتهم.

يريدون من وراء ذلك أن يصرفوهم ـ بهذا النقاش العقيم الأجوف الذي يثيره الأحمدية باسم الدين ـ عن الجد واللباب، ويفوتوا عليهم

(١) : اي القاديانية وكذلك الامر بالنسبة للبهائية. واليوم يشترك في هذه المؤامرة، كل اعداء الاسلام والمسلمين، وعلى رأسهم الامبريالية الاميركية وربيبتها اللاشرعية المزروعة في منطقتنا: اسرائيل.. وعلى الكل الانتباه والقيام بالواجب، بكل الوسائل! ، لصد العدوان في كل اشكاله والله هو الناصر فان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم.. وانه لا يخلف الميعاد (خسروشاهي).

فرصة العمل النافع المفيد، الذي يدفع بهم إلى متابعة ركب الحياة الناهضة المتوثبة.

وفضلا عن ذلك، فان هؤلاء الجواسيس يستطيعون ـ من خلال النقاش الذي تدور رحاه بين الأحمدية وغيرهم ـ أن يتبينوا أصحاب الآمال الكبيرة، والهمم العظيمة، وهذه المعرفة ليست عند الانجليز بالأمر التافه، لأن الأمم في نظرهم وفي الواقع، ليست الا مجموعات قليلة العدد من الأشخاص الذين هم مؤهلون بالفطرة لحمل رسالة الاصلاح في أممهم، والنهوض بها.

وفق الله الجميع لما في خيرهم، وخير دينهم، وخير أمتهم...

د. سليمان دنيا

القاهرة

الفهرس